الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم -

كلية الأدب العربي والفنون

قسم الدراسات الأدبية والنقدية

تخصص الدراسات الأدبية المقارنة





مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي والموسومة بـ:

أثــر الأدب الفـارسـي فـي الأدب العربـي
قـصـة "لـيلـى والمـجنـون" أنـموذجـا

من إعداد الطالبة:

- هدار سامية

إشراف الأستاذة:

"مسعودي فاطمة الزهراء"

السنة الجامعية: 2016 -2017

دعـــــــاء

اللـهـملا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا باليأس إذا فشلت

بـل ذكرني دائماأن الفشل هو التجارب التي سبقت النجـاح

يـا رب علمني أن التسامح هو أول مراتب القــــــوة

وأن حـب الانـتـقام هو أول مـظـاهـر الضعـــــف

يـا رب إذا جردتني من المال أترك لي الأمـل، وإذا جردتني مــن

النجاح أترك لي قوة الهناء حتى أتغلب على الفشــــــل

وإذا جردتني من نعمة الصحة فأترك لي نعمة الإيمــان

يا رب إذا أسأت إلى الناس أعطيني شجاعة الاعتـــذار

وإذا أســأت النــاس أعطيـني شجـاعـة العفـــو

يا رب إذا نــسيـت ذكـرك فـلا تنســـــــــانـي

"اللــهــم زدنـــا عــلــمــا"

آمـــين

كلمة شكر وتقدير

العـــلـــم يـبـنـي بـيــوتــا لا عـمــاد لــهــــــا

والجــهــل يــهــدم بـيـوت الــعــز والشــرف

أتقدم بالشكر و الامتنان إلى كل من أشعل شمعة في درب عملي و إلـــى

من وقف على منابر وأعطى من حصيلتهفكرة لينير بها دربـــــــي

وأخص بالذكر الأستاذة المشرفة "مسـعـودي فاطـمـة الــزهــراء"

التي لم تبخل علي بتوجيهاتها ونصائحها القيمة والتي كانت عونا لي

في إتــمــام هـذه المــذكـرة فجـزاهــا الله عنــي كــل خير

فلــهــا منـــي كـل التقديـر والاحـتـرام.

كمـا أتوجـه بالشكـر إلـى كــل من ســاعدنـــي من بـعيد أو قـريـب على

إنــجــاز هــذا الــعــمــل الـــمـــتــواضــــــع .

" سـامـيــة "

الإهــــــداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك والنهار بطاعتك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك، ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله، إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار، إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو أن يمد الله في عمرك لترى ثمارا قد حان قطفها بعد طول انتظار: والدي العزيز

إلى سر نجاحي ودعمي، إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات،إلى أغلى إنسان في الوجود : أمي الحبيبة

إلى كل أقاربي وأخص بالذكر إخوتي، وإلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة

(عفيف، محمد هشام، محمد إسلام آدم، محمد رياض،نادية)

إلى كل من علمني حرفا أو كساني علما ومنحني رأيا وقدم لي نصحا

إلى أخواتي التي لم تلدهم أمي،إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء

إلى من عرفت كيف أحبهم وعلموني ألا أضيعهم: صديقاتي

إلى من جمعتني بهم مقاعد الدراسة

إلى كل طلبة الماستر في كلية الأدب والفنون دفعة 2017

إلى كل من لم يرونهم حبري لكنهم في قلبــــي

"سامية"

مقـــدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم:

الحمد والشكر لله والثناء الجميل على توفيقه وعطائه، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمــا بعـــد :

فالأدب من حيث كونه تفسيرا لمعاني الحياة وتعبيرا عن شعور تموج به النفس، لن يكون إلا أخص ما يكون من شأن البليغ وأصالة ذلك الأدب على قدر الخصوصية .

قام الأدب الفارسي على تنظيم فنون القول، فهو صورة لحضارة الساسانيين الذين بلغت حضارتهم أوج ازدهارها حتى أصبحت من أعظم حضارات الشرق القديم، فقد تعدى هذا الأدب حدود الزمان والمكان وخرج عن نطاق أكثر من لغة ليكون فيه نصوع البرهان على أهميته وخلود كينونته .

أقبل الفرس على اعتناق الدين الإسلامي، وأقبلوا على تعلم اللغة العربية وأجادوها لكونها لغة القرآن العظيم؛ فنظروا إليها نظرة احترام وتقديس لكونها قد حملت كلام الله عز وجل.

كانت العلاقة بين العرب والفرس قوية عظيمة الأهمية وذلك بفضل الترجمة لأنها الوسيلة إلى نقل المعرفة بينهم مما فتح المجال في التقاء اللغتين، إذ تواكبت اللغتان بثقافة إسلامية موحدة وأفضى كلاهما للآخر باستعارة كلمات وألفاظ فيما بينهم.

نجد الدراسات المقارنة تكثر بين الأدبين العربي والفارسي، ولعل هذا يعود لنشاط أمة دون أخرى في الإبداع الأدبي، والقدرة على الخلق يوفر مادة للبحث تفوق تلك المادة التي تتوفر للأدب الآخر،ولكن مع ذلك نجد أن هذه الدراسات العربية قد كررت نفسها فيما يخص العلائق الأدبية بين الأدبين العربي والفارسي .

لقد اختلفت قصة "ليلى والمجنون " بين العرب والفرس وكلا منهما كانت لهم وجهة خاصة؛ فطرح نفسه ليثير جدلا وسط الساحة الأدبية والمقارنة،إذ تعرض له مجموعة كبيرة من النقاد العرب منهم والغرب، فمنهم من قال أن مجنون ليلى هي قصة خرافية ومنهم من قال أنها صورة حضارات مشتركة بين الفرس والعرب، ومنهم من قال أيضا أنها حكاية

عربية الأصل تنتمي إلى فترة ما قبل الإسلام دون ريب وهذا حسب أقوالهم واستشهاداتهم. فنظرا لكل شكوك الباحثين حول تاريخ هذه القصة إلا أنها حظيت باهتمام بالغ في الأدب والفنون غير العربية دون استثناء؛ ربما لم تحظى به أية قصة عربية سواها وعليه وجب علي طرح التساؤلات الآتية: كيف التقى الأدبان واحتفى كل منهما بالآخر ؟ وما هي الثمرة التي فاء بها هذا اللقاح الأدبي على كل منهما ؟ ما علاقة الأدب العربي بالثقافة الفارسية ؟ وما الفرق في القصة بين الأدبين ؟ وكيف أثر الأدب العربي في الأدب الفارسي ؟.

كان اختياري لهذا الموضوع لسببين:أحدهما ذاتي والأخر موضوعي؛ فالذاتي الرغبة في التطلع والمعرفة حول مدى أثر الأدب العربي في الأدب الفارسي، والموضوعي لإحاطة الباحث أو القارئ بنبذة و جيزة حول طبيعة الموضوع والتعرف على ما اكتسبه كل من الأدب العربي والفارسي في تحليله لقصة "ليلى والمجنون " .

وعليه يسعى هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف منها: تسليط الضوء على محفل التواصل بين الأدب الفارسي والأدب العربي؛والرغبة في معرفة مدى تأثر كل منهما للآخر؛ والإلمام والإحاطة بتأثير القصة في كلا الأدبين كرؤية نقدية .

وللإجابة عن تلك الأسئلة اعتمدت على خطة في بحثي هذا التي جاءت على النحو الآتي: مقدمة وقد جاءت ممهدة للموضوع ثم مدخل فتضمن تراث الفرس قبل معرفتهم الأدب العربي ، أتبعته بفصلين ، فصل نظري وفصل تطبيقي واشتمل كل فصل على مباحث ويندرج كل مبحث تحت عنوان خاص به، فالمبحث الأول لمحة عن العصر العباسي (اختلاط العرب والفرس)، والمبحث الثاني يتحدث عن أول من قال الشعر بالفارسية من الفرس، والمبحث الثالث تمثل في تتلمذ الفرس على يد العرب، والمبحث الرابع حول التوأمة بين اللغة الفارسية والعربية. أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا جاء بعنوان دراسة تطبيقية حول قصة" ليلى والمجنون " تمحورت فيه تمهيد ثم اتبعته بأربع مباحث فكان افتتاحي بالمبحث الأول ليلى والمجنون في الأدب العربي والمبحث الثاني ليلى والمجنون في الأدب الفارسي، المبحث الثالث حول التأثير والتأثر بين الأدبين، والمبحث الرابع يتضمن المقارنة بين الأدبين (أوجه الاختلاف والشبه).

وفي الأخير درجت خاتمة جاءت ملمة لأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال بحثي كما احتوى هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع وذلك لإثراء موضوع بحثي هذا وفهرس يحتوي على صفحات ما جيء في المضمون.

واتبعت في كتابة المذكرة على المنهج الوصفي التحليلي وهو المنهج المناسب لطبيعة الموضوع.

هذه الدراسة كانت رحلة استكشافية محفوفة بالصعوبات على المستويين النظري والتطبيقي، فمن المألوف أن تعتري أي دراسة هذه الصعوبات، وهذا ما صادفته في البحث بقلة المصادر والمراجع.

وختاما أتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذة المشرفة مسعودي فاطمة الزهراء بما فضلت به من نصائح وتوجيهات وعلى متابعتها البحث بجد وإخلاص، كما أخص لأساتذتي أعضاء لجنة المناقشة الموقرة بالشكر والثناء عليهم لما بذلوه من جهد في مراجعة المذكرة وفحصها.

وشكرا

يغلب الظن عند المؤرخين والباحثين أن الشعب الذي يسكن بلاد إيران حاليا هو أحد الشعوب الهندية الأوروبية التي نزحت من بلاد الهند وأطلقوا على أنفسهم اسم الفرس لكونهم سكنوا مقاطعة يرس أو فارس أو فارستان،المعروفة عند الإغريق باسم يريس حيث يرجعونهم إلى الشعوب الأوروبية للشبه القريب في لغتهم باللغات الأوروبية القديمة والمجموعة السنسكريتية التي لها علاقة بالهندية ، ولذلك كانت لغتهم تعرف بإحدى اللغات الهندية والأصل أن الشعب الفارسي من الشعوب الهندية الأوروبية.[1]

تعتبر الإمبراطورية الفارسية التي تعرف بدولة الفرس أو الدولة الكسورية،من أعظم وأكبرالدول التي سادت المنطقة قبل البعثة النبوية،حتى إنها فاتت الدول الأخرى في الشهرة والقوة،بحيث تعد دولة الفرس أمة قديمة،ذات حضارة عريقة عظيمة.[2]

تميزت هذه الأمة باتساع رقعتها التي تحكمها وتعددت أسرها الحاكمة وكثر ملوكها أدبا يشبه اليونان أو الهنود مثلا،وذلك أن هذا الأدب انحصر في كتاب الفرس المقدس "الإبستاق"أوما يسمى "الأوستا"وهي الكتاب المقدس لدين زراديشت،ومعنى زراديشت صاحب أو جالب الجمال المسنة في الغالب،نظم أناشيد دينية خاصة بمذهبه الذي دعا إليه.[3]

الفرس من الشعوب الآرية إخوان الهنود واليونان،وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون.... فجردت على بلادهم جيشا قد يصعب على أعظم دول الأرض اليوم حشده ونقله بمهماته ومؤو نته من أواسط آسيا إلى البحر الأبيض،فالدولة التي لها هذا مبلغ قوتها لا تخلو من أدب وعلم،فهي أهل الذكاء وتعقل، وفيهم استعداد فطري لأسباب التمدن،فلابد من إجادتها في نظم الشعر على نحو ما فعل إخوانهم الهنود في المهابهاراتة ونحوها، وإن كان ما وصل إلينا قليلا.فالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والأضواء،فقد أحرزوا شيئا منها وخصوصا لأنهم ورثوا البابليين والأشوريين واحتكوا باليونان وهم في إبان تمدنهم،واختلطوا بجيرانهم اليهود،حيث كانوا

[1]-:أمين عبد المجيد بدوي:القصة في الأدب الفارسي ، دار النهضة العربية – بيروت –(د.ط) ، 1911، ص 26.

[2]- الانترنيت: الموقع:www.Effectivemenasure. Net ، "منتدى التاريخ / مسلك التاريخ والحضارة "ص12.

[3]- مجلة المعرفة: "الأدب العربي في الآداب الأجنبية "،ع: (191- 192) ، 1978 ، ص 17.

يعرفون الكتابة وينقشونها على الأحجار باللغة الفهلوية،إذ يؤيد ذلك ما جاء في كتب الأخبار عن فتوح الإسكندر لبلاد فارس وما عثر عليه في عاصمتهم، اصطخر من خزائن الكتب.[1]

والمشهور أن علوم الفرس لم تأخذ في الظهورإلا في أيام "سابوربن أرد يشر" فبعث إلى بلاد اليونان من جلب كتب الفلسفة وأمربنقلها إلى الفارسية،واختزنها في مدينته، وأخذ الناس في نسخها وتدارسها،فلما تولى كسرى "أنوشروان العادل"(531-578ه)،فتح للفرس موردا جديدا للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد "بوسنيان"قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على أثر إقفاله الهياكل والمدارس الوثنية،حيث كانت الفلسفة الأفلاطونية الجديدة قد نضجت،ففر أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم،جاء منهم إلى أنوشروانفأكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة ونقلها إلى الفارسية،فنقلوا المنطق والطب وألفوا فيهما الكتب وطالعوها،ورغب الناس فيها ؛كما عقد المجالس للبحث والمناظرة وجالسوه على أنه من تلامذة أفلاطون،وتلك الفلسفة كانت أساسا لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك،ولم يقتصر أنوشروان على نقل علوم اليونان إلى لسانه ولكنه نقل علوم الهنود من السنسكريتية إلى الفارسية وأنشأ مدينة "جندبس" مستشفى لمعالجة المرضى، فتعليم صناعة الطب استقدم إليه الأطباء من الهند وبلاد اليونان.[2]

حيث كان نظام الحكم في دولة الفرس نظاما ملكيا مطلقا وقد لقبوا حكام الفرس بشاهنشاه أي "ملك الملوك"وكتبوا على نقوشهم بأنهم ينحدرون من نسل الآلهة، لذلك يعتبر الملك وأسرته الطبقة الأولى، تليهم الطبقات الأربعة التي هي أصحاب الدين والحرب والخدمةوكانت الفرس تقوم على تأدية فرائض دين خاص بها وهذا الدين كان مبني على تأهيل العناصر وعبادة القوى من الطبيعة إذ يقول"هيروديت":إن الفرس يعبدون الشمس والقمر والنجوم والماء والأرض منذ زمن بعيد" وذلك من خلال كتابهم المقدس "الأوستا " التي تذكر فيها الأقاصيص التي لا وجه للشك فيها،ففي دين زراديشت أن النور يرمز لكل خير،والظلمة رمز لكل شر،ومن ثم كان كل ما هو مضيء أو مشرق موضع تقديس في والنار بما يجري عليها من صفاتها كانت شعار لأتباع هذا الدين وحرصوا الحرص كله

[1]- جرحي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء 2 ، تقديم إبراهيم صحراوي ، دار موفم للنشر ، 1993 ، ص 43

[2]- المرجع نفسه : ص 44.

دينه على عدها مما يعبر عن اعتزازهم بمذهبهم فكانوا يحتفظون بها في كل دار وأقاموا لها بيوتا تعرف ببيوت النار ويحوجنهاالتماسا للبركات منها.[1]

الفرس أمة متجردة في التاريخ لهم في الحضارة الإنسانية أصالة يشهد لها تراثهم ،وفي الحرب دراية وخبرة وفنون أنبتتها حروبهم مع الروم،وهي حروب وصفت بأنها استولت على عقول ملوك آل ساسان.[2]

الفرس أمة لها سماتها المستمدة من التقاليد الدينية و الاجتماعية ،ويكفي أن نذكر أن هذه الأمة كانت إحدى قوتين اللتين كانتا تسيطران على العالم القديم وهما الفرس واليونان ثم الفرس والرومان بعد ذلك.[3]

ولقد مرت هذه الدولة بعدة أطوار قبل البعثة وبعدها ،ونقف في هذا على ذكر ما كانت عليه الدولة الفارسية من انحطاط وخلل كبير في الأنظمة السياسية والدينية والاجتماعية التي سادت،فمن الجانب السياسي والحياة فيه قام باحتكار أقوياء الثورة ومصادرهاوانهمكوا في مشاغل الحياة وملذاتها،وزادوا من ثرائهم بالربا الفاحش والضرائب الثقيلة التي فرضوها على الضعفاء من الفلاحين والعامة،وحرموا على العامة أن يشتغل الواحد منهم بغير الصناعة التي مارسها أبوه،وكانت الضرائب تفرض بصورة اعتباطية وخاصة وقت الحروب؛أما من الجانب الديني والفكري ،لم يعرف الفرس الدين الحق ولم تنتشر بينهم الأديان السماوية التي سبقت ظهور الإسلام إلا بنطاق محدود جدا،وكان أكثرهم على المجوسية،فمنذ القرن الثالث الميلادي صارت الزراديشية دينا للدولة،وقد تدهورت أخلاق رجال الدين الزراديشي وحاول كسرى الثاني تجديد الزراديشية وإحياء معابد النيران ونشر تفسير جديد لكتابها وكانت عقوبة من يخرج عليها الإعدام،وهذه المعتقدات الباطلة لا تقدر أن تهب النفوس البشرية الطمأنينة والراحة النفسية، ولا تشبع تطلعها إلى الله الواحد الحق

[1]- لباول هورن : الأدب الفارسي القديم ، ترجمة دكتور حسين مجيب المصري ، الدار الثقافية للنشر – القاهرة – ط1 ، 1999 ، ص 70و120 .

[2]- منتدستار تايمز : " أرشيف التاريخ العالمي والإسلامي " الساعة : 39: 15 ، يوم : 21 جانفي 2017، ع: 2، ص 18 .

[3]- سامي نوار : فن صناعة المخطوط ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط1 ، 2002 ، ص 9 .

ولا تمنحها القيم الأخلاقية الرفيعة ولا قواعد العدل الاجتماعي، حيث كانت الحياة الاجتماعية فيها تقوم على عامدين:"النسب والملكية "، كان يفضل النبلاء عن الشعب وكان لكل فرد مرتبته ومكانه المحدد في الجماعة، حيث تقوم الأسرة على أساس تعدد الزوجات وشاع بينهم الزواج بين المحارم ،فوضع المرأة كان يشبه وضع الرفيق، حيث بإمكان الزوج أن يتنازل عنها لزوج آخر دون رضاها،كما شاعت عادة التبني للأولاد؛وقد انتشرت الإباحية وعم الفساد الخلقي والاجتماعي خاصة عندما انتشرت المزدكية التي دعا إليها " مزادك" إذ يعود تاريخ الحضارة الفارسية إلى أكثر من ألفي سنة ،وفي الحقيقة الزمنية التي دخلت فيها جماعات مختلفة من الأصل الأخرى مثل الماديين والباريسيين ومعظم هذه الحكومات لم تعرف الوحدة المتكاملة والاستقراء،بل كانت في حروب قبلية،فقد بقيت الفارسية تفتقد إلى حكومة مركزية موحدة منسجمة،إذ كانت تحكم حكومات إقليمية محلية نقاط مختلفة من البلاد حتى قيام الملكية الصفوية (1501)ثم السلالة الملكية الأفشرية،ولقد استمر هذا النوع من الحكم الاستبدادي سائدا في إيران حتى انقراض السلالة الفهلوية.[1]

فكان تنظيم الدولة العسكري للفرس في تاريخهم القديم أمة مسلحة وشعبا محاربا،ويبدوا أن دولة الفرس نظمت المجتمع الفارسي ليكون مجتمع حرب، فاعتمدت نظاما أسريا وإقليميا يرتكز على أربع وحدات:

1-البيت (غانة)

2-القرية (ويس)

3-القبيلة (زنتو)

4-الإقليم (دهيو)

[1]- آذرتاش آذرنوش : سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم ، ترجمه وعلق عليه الدكتور محمد التو نجي ، دار المجتمع الثقافي ، (د.ط) ، 2004 ، ص 15 – 17 .

كان رؤساء القرى يضطلعون بدور أساسي في هذا التنظيم،فهم من كبار أمراء الملك ينشؤون رعاياهم على الحرب،حيث خضع تركيب المجتمع الفارسي إلى النظم الإقطاعية والطبقية لكي يأتي متوافقا مع النظم الحربية للدولة.[1]

كما حدد ملوك فارس عقيدة جيوشهم،فجعلوا مهمتها الأساسية المحافظة على ملكهم وكانت أول خطوة لأزدشيرفي حربه للانتقال من ملوك الطوائف إلى الدولة الموحدة وأصبحت سياستهم منذ عهد "أزدشير"وخلفائه الأوائل متجهة إلى حماية الحدود من الشرق والغرب والشمال والتي كانت على ما يبدو مهددة بصورة دائمة، واهتم الفرس بتنظيم جيش إمبراطوري قوي ،وربطوا وجود دولتهم بقوته وتماسكه،فاستعملوا المال على إعداده متبعين سياسة" أنوشروان" (الملك بالجند والجند بالمال)،حيث كانت الفروسية لدى الفرس منذ القدم رمزا للبطولة والتي ارتبطت بالملك مباشرة وعليها يرتكز سلطانه ونظامه.[2]

عرف الفرس بنتيجة حروبهم مع الروم والأمم الأخرى المعاصرة لهم، نظم القتال ومبادئ الحرب،وأفاد قادتهم من دروس المعارك التي خاضوا غمارها لتحسينها وتطويرها، بحيث أصبحت فنون القتال عندهم لا تختلف كثيرا عما هو متعارف عليه في عصرنا،فكان لهم نزعة قومية في تعلقهم بدينهم القديم وتراثهم في كل جوانبه،إذ يعد الأدب لديهم أدب ينظم فنون القول،فهو صورة لحضارة الساسانيين الذين بلغت حضارتهم ازدهارها حتى صارت من أعظم حضارات الشرق القديم، وقد تعدى الأدب الفارسي حدود الزمان والمكان وخرج عن نطاق أكثر من لغة ليكون فيه نصوع البرهان على أهميته وخلود كينونته وبلوغه ما كان الظن به،أنه بالغها مع كل حال من الأحوال.

فالفرس على امتداد حضارتهم كانوا بقصصهم القديمة ذاكرين له، ففي كل شعر مثلا إشارة أو إشارات إلى القصص على نحو أو آخ ر، وكان ذلك معهودا في الألف الأخيرة من

---

[1]- لباول هورن : المرجع السابق ، ص 113 .

[2]- منتدى ستار تايمز : المرجع السابق ، ص 19.

تاريخ الأدب خصوصا،ففي قديمهم عرفوا الشعر الموزون على قواعد وأصول وكثيرا ما كان يشبه الشاعر نفسه ببطل أسطوري في واقع حاله.[1]

[1] ـ آذرتاش آذرتوش : المرجع السابق ، ص 18 .

المبحث الأول: لمحة عن العصر العباسي (اختلاط العرب والفرس):

كان العصر العباسي عصر الحضارة الإسلامية وامتداد الثقافة العربية في جميع بقاع العالم،ثقافة الفكر والعلم والتجديد في كل فروع المعرفة وكل جوانب الحياة،التي تتلمذت عليها الأمم والشعوب.وفي هذا العصر ظهرت أئمة الفكر الإسلامي العربي وأعلام الأدب العربي شعره ونثره وصار فيه الأدب أدب الثقافة الرفيعة،والذوق العالي في جميع أنحاء الدنيا[1].

إذ يعد هذا العصر عصر النهضة والازدهار في الآداب العربية،حافلا بشتى التيارات الفكرية والعلمية والأدبية، وقد ورث العباسيون بني أمية بالغلبة والقهر وثلوا أعرشهم بيد صنائعهم من الأعاجم ،والفرق بعيدا بين ماهنا وهناك في شتى المظاهر في نظام الخلافة وأساليب الحكم ومظاهر الحياتين الفكرية والاجتماعية.مما كان أثرا محتوما لسيطرة العنصر الفارسي على أعنة الشؤون الداخلية والخارجية صغيرها وكبيرها في المملكة الإسلامية ،فهذه المداخل العنيفة نقلت الحكم الإسلامي من طورإلى طور،وأثرت في الحياة العربية تأثيرا كسر ويا خالصا وأورث العرب من ضروب المدنيات ماهضموه وتمثلوه،فأضافوا إليه كثير من ألوان ومظاهر التجديد[2] .

إن دخول العرب إلى بلاد فارس كان سببا خطيرا من أسباب تحول هذا المجتمع اجتماعيا ودينيا وثقافيا،ففي الجانب الثقافي،والشعر جزء منه،تغير المجتمع الساساني القديم إلى وضع جديد،حيث لايعتبر الوضع القديم بالنسبة إلى الوضع الجديد إلا ظلا تافها لاقيمة له، ومن أول مظاهرهذا التحول،هجر الفرس" للغة الفهلوية" التي ماكان يعرفها إلا عددقليل من المثقفين ومنهم كتاب الديوان على تعلم لغة دينهم الجديد واستخدام الحرف العربي في الكتابة بدلا من الحروف الفهلوية المقتبسة من الحروف السريانية،التي كانت صعبة القراءة خالية من المصوتات كشأن الكتابات السامية،يقرأ فيها الحرف الواحد بأشكال متعددة تتخللها

[1]- محمد عبد المنعم الخفاجي :الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر " الإسكندرية "، ط 1 2004 ، ص 11.

- [2]مجلة المعرفة : "الأدب العربي في الآداب الأجنبية " ، 1978 ، ع: (191-192) ، ص 21.

كلمات سريانية للفصل بين الكلمات المتشابهة تسمى "الهزراوش " تكتب بالسريانية وتقرأ بالفارسية،حيث كانت الكتابة العربية بهذا أسهل استعمالا ،فاستخدام الفرس للحروفالسامية في كتابة لغتهم أمر قد ألفوه منذ زمان طويل.[1]

كذلك وضع التعليم طرأ عليه تغييرعميق،إذ أن التعليم في العصر الساساني،كان مقصورا على تحصيل بعض المعلومات الأولية من شؤون الدين،وقد كسر الإسلام هذا الطوق الذي كان يمنع أبناء الطبقات الدنيا من تحصيل العلم، بينما انكمش بعض أبناء الطبقات العليا ممن ظلوا على دين المجوسية ،وعلى الموروث من أساطيرهم وتعاليمهم الدينية ،وبهذا انقسمالمجتمع إلى قسمين :

ـ قسم ضئيل يتمسك بتلك الثقافة القديمة .

ـ قسم كبير يقوم على الجماهير العريضة التي فتح الوضع الجديد أمامها سبل التعليم،التي كانت تنتشر يوما بعد يوم،في كل مكان من أرض الفرس،هي الحاضن له،وكان التعليم فيها مجانا يتوخى فيه المعلمون الأجر والثواب الأخروي.

قد تمثلت هذه الأداة في اللغة العربية لأنها لغة الدين، التي كانت تتطور يوميا لتصبح بعد ذلك لغة العلم في العالم، حتى ظهرت اللغات الأوروبية الحديثة في العصور الأخيرة لتزيلها عن مكانتها تلك.[2]

أما الجانب الديني، فلو اتبعنا التقسيم القديم للعلوم إلى دينية وعقلية،لوجدنا أن أساتذة العلوم الدينية في التفسير والحديث والفقه...الخ من العرب،وهم الذين نقلوا هذه العلوم معهم فأصبحوابالضرورة هو المعلمين الأوائل للفرس،فمثلا مسلم بن الحجاج من بني قشير يعتبر كتابه في الحديث أحد كتابين معتمدين في صحيح الحديث،وقد نبغ من هؤلاء القشريين جماعة من العلماء الفضلاء أشهرهم عبد الكريم بن هوازن القيشري النيسابوريوعند ترجمة الكتب اليونانية والهندية والفهلوية إلى العربية،احتكرت العربية هذه العلوم فأخذها الفرس عنها،ويكفي أن نعرف أن ابن سينا والبيروني قد تعلما باللغة العربية وكتبا بها دون أن يريا

[1]- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 22.

[2]- المرجع نفسه : ص 22 .

بلاد العرب،حتى نعلم مدى هذا الانتشار والنفوذ للعربية.فإن العربية قد حافظت على هذا التراث الفارسي الذي ترجم إليها،وقام الفرس بترجمته مرة أخرى إلى لغتهم كما فعلوا عند ترجمة كليلة ودمنة إلى الفارسية الدرية،وبعد أن نقله ابن المقفع من الفهلوية إلى العربية،وهكذا يبدو لنا أن حياة جديدة قد سرت في عروق ذلك المجتمع القديم ونشأت فيه بيئات علمية جديدة،وأقبل الفرس على تحصيل الجانب الأدبي من الثقافة العربية،وأصبح المئات بل الآلاف منهم يحفظون الشعر العربي والأمثال والحكم والأساطير وكل مايتعلق بتاريخ العرب قبل الإسلام في أيامهم وحروبهم وماإلى ذلك،حيث ظهر بين الفرس والعرب من نظم الشعر العربي وكتب الرسائل الأدبية.[1]

كما أن بين العربوالفرس روابط متصلة نلتمسها في سياق تاريخي اجتماعي واضح المعالم مما يزعم أنهما يلتقون في شخصية الضحاك التي تعيشها الأساطير،فالضحاك من ملوك العهد الفارسي،الذي يسوق المؤرخين نسبه في العرب قيل:أنه عربي وابن ملك في بلاد العرب يسمى "مرداس" كان خيرا تقيا ،إلا أن الشيطان أظل الضحاك وزين له أن يقتل أباه فقتله وتملك بعده.وقال الطبري:"والعجم تدعى الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته من بعض أشراف أهل بيته على اليمن،فولدت له الضحاك، واليمن تدعيه أنه من نفسها،فقد ورد اسم الضحاك مرارا في " الابستاق"وهو كتاب الفرس المقدس،ويؤخذ مما ذكر أن الضحاك كان من ملوك غرب إيران وقدم البلاد غازيا.[2]

كان الفرس عماد النظام السياسي والإداري للدولة،ودعاة الترف والمجون والحضارة،وطابعهم حب السيادة والقدرة على تنظيم إدارة الدولة وتشجيع العلوم والظهور بمظهر التشيع ، أما العرب فأقصى عن النفوذ في الدولة والخلافة وكان نفوذهم أظهر ما يكون في الشام والجزيرة حيث كونوا لهم هناك دويلات كثيرة،وطابعهم يتصف بالزهو والاعتزاز بالنفس والفضائل والميل إلى الأدب والرغبة في السيادة.[3]

[1]- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 23.

[2]- حسين مجيب المصري: الصلات بين العرب والفرس والترك " دراسة تاريخية أدبية "، الدار الثقافية للنشر- قاهرة ط1، 2001، ص 11- 12.

[3]- محمد عبد المنعم الخفاجي : المرجع السابق ، ص 22.

حيث كانوا يسمون أنفسهم أبناء الأحرار ويعتبرون العرب في عهد الساسانيين أحقر جيرانهم،ذلوا حتى لقبوا بالموالي،وكان من بينهم يعادون الخلفاء الأمويين،ويظاهرون ثائرين عليهم رغبة في إسقاط الدولة الأموية،وقد أشاعت مذبحة كربلاء الذعر في العالم الإسلامي بأسره،كما أثارت في فارس شعورا قوميا أعان بني العباس فيما بعد على تعويض حكم بني أمية؛ مما جعل الفرسالموالي في عهد الخلفاء الأمويين في حال من الذل والهوان،ولم ينصفهم إلاعمر بن عبد العزيز الذي اشتهربرقة طبعه،فقد خفف عن أهل خراسان من الفرس وطأة الحياة وعزل ظالميهم من الحكام وسوى بين المسلمين أجمعين،ومنع هدم بيوت نار المجوس ولم يسمح بإقامة بيوت أخرى،أما ماكان من نزاع وتخاصم بين بني أمية وبني هاشم فقد جعل اعتماد بني هاشم على أتباع ومظاهرين لهم من الفرس،لأن اتكاء بني أمية كان على يد العرب وحدهم،فالعباسيين وهم من بني هاشم انتزعوا الخلافة من الأمويين بفضل الإيرانيين،وإذا ما ذكرنا إقليم خراسان الذي قام في الدولة العباسية،ألفينا أن ساكنيه من العرب كانت فارستيهم أرجح من عربتيهم، فقد تزوج آباؤهم فارسيات، فتكلم أبناؤهم الفارسية وشربوا الخمر واخذوا بعادات الفرس.حيث كان الحكم الأموي حكما عربيا قوميا بتمام المعنى وقد سقط هذا الحكم لما كان بين القبائل من تنازع وتخاصم وكان سقوطه وسط ذلك الصدام مع الفرس.[1]

وعليه كانواهم الذين أقاموا دولة بني عباس على أنقاض دولة بني أمية ولذلك أيقن خلفاء العباسيين بأن الفرس أنصارهم ولم ينسوا ماكان لهم من فضل في إقامة دواتهم ثم أفسحوا مجال لهم، فغضت قاعدة الخلافة بهم ووكلوا أمور الملك إليهم وكان منهم الوزراء والأمراء والحجاب وأهل الأدب وبلغت وثاقة الصلة بين الفرس وخلفاء العباسيين حدا حاول فيه بعضهم عبادة المنصور وهم "الراوندية"وهي فرقة ضالة من الفرس مما جعل الخلفاء العباسيين يختارون وزرائهم من الفرس وأولهم أبو سلمه الخلال الذي وزر للسفاح،وكان يريد الخلافة لأحد من ذرية علي بن أبي طالب وجدير بالذكر أن الخلفاء العباسيين أيقنوا

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 50 - 51.

بأن اتساع نفوذ الفرس في دولتهم خطر داهم يتهدد ملكهم،فعولوا على أن يقفوا ذلك عند حد دفاعا عن كيانهم.[1]

ومن أهم مظاهر اعتزاز الفرس بأنفسهم ورغبتهم في إعلان حقهم في السيطرة على العرب وشعورهم بأن سابقتهم في المجد تجعلهم لذلك كله أهلا،تلك النزعة المعروفة بالشعوبية واستمدت هذه الأخيرة اسمها من قوله تعالى في سورة الحجرات :[يَا أَيُهَا اَلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمُ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُواْ إِنَّ أَكْرَمَكُمُ عِنْدَ اِللَّهِ أَتْقَاكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ خَبِيرٌ]الآية:(13).[2]

وهذا يعني بأن الأعجمية والعربية ليست من عوامل التفاضل بين الناس،بل إن الدين وحده عامل التفاضل،ومن يأخذون بهذا يسمون أهل التسوية أي الذين يسوون بين الأمم وهم بذلك إنما يلزمون أنفسهم بأمر الإسلام وصريح القرآن،سواء أكانوا من العرب أم من العجم ولكن العرب بالموالي،فكلمة الشعوبية بمعناه الاصطلاحي لم تعرف إلا في العصر العباسي؛ ممأأفضى إليه اختلاط العرب بالفرس في العصر العباسي ظهور الزندقة،وقد رأى بعض الفرس أن انتقال الخلافة من الأمويين إلى العباسيين لم يحقق لهم أملا، ومطمح نفوسهم أن تكون حكومة العباسيين فارسية في مظهرها وجوهرها،وفي سلطتها ولغتها ودينها، فعملوا جهد المستطاع على نشر ديانتهم وهي الزردشتية والمنوية والمزدكية في السر والعلن ،فكان ذلك سبب فشو الزندقة في العصر العباسي والحافز على نشر تلك الديانات الفارسية في المجتمع العربي الإسلامي كان قويا سياسيا يدعوعلى بعث الحضارة الفارسية القديمة في مظهر من أهم مظاهرها هو الدين،وأدى اعتناق تلك المذاهب إلى التجافي عن أوامر الدين الحنيف ونواهيه،فماج المجتمع العباسي بالإلحاد ورقة الدين وكثر المستهترون وأهل المجون.[3]

وجملة القول في الزندقة أنها كانت صراعا بين العرب والفرس وهي ظاهرة لها خطرها من حيث أنها الخلفاء العباسيين إلى ضرورة حماية الدين و الدولة منها و وجوب اللجوء

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 53 - 54.

[2]- القرآن الكريم: سورة الحجرات ، (الآية: 13).

[3]- المرجع نفسه : ص 65- 66 .

إلى أعنف العنف لاستئصال شأنها،ولا يغربن عن بالنا أنها تكشف عن رأي أخذ به بعض الناس المجتمع العباسي فقيل:"أظرف من زنديق"وأصبح ذلك مثلا في زمان كثر فيه الظرفاء وزمان مهد وكان هؤلاء الظرفاء يرمون بالزندقة كصالح بن عبد القدوس و حماد الراوية،وممن نقدمهم قليل كابن المقفع وابن أبي العوجاء،حيث اتخذ الزنادقة أهل البدع من الفرس موقفا آخر من خلفاء العباسيين فمنهم من استحفل أمره وكثر جمعه وقويت شوكته حتى شقا العصا و خلع الطاعة ونصب العرب حربا ولاشك أنهم بعقيدتهم الدينية إنما أرادوا بعث قوميتهم الفارسية و إحياء كيانهم المجيد في الماضي البعيد.ثم ظهرت أخطر حركة من حركات الزنادقة و هي حركة بابك الخرمي التي قوت تيارات الشعوبية مما هدد وحدة المجتمع العباسي وأفضت إلى نوع من الفوضى الاجتماعية بإحياء العقائد المجوسية التعاليم الإباحية وزاد من خطوة تلك الحركة أنها حاولت التحالف مع الدولة البيزنطية التي وقفت من الدولة العباسية موقف العداء على الدوام.[1]

وهكذا تمسك الفرس بالعقيدة الدينية تمسكا،واعتبروا الاعتصامبها والدعوة إليها سبيلا إلى بعث قوميتهم واتخذ صنيعهم هذا مظهرين أحدهما خاص وآخر عام،فالخاص مرتبط بالإيمان الشخصي لدى بعضهم،الذي حداهم على الدعاوة وزين لهم أن يشهروا بالعرب ويمتدحوا الفرس ومنهم من تعمد الإساء إلى العرب بإفساد دينهم،فتصدت الدولة لهم وواجهت بالردع حملتهم،أما العام فكان احتكاما إلى السيف في استرداد ما ذهب من ملكهم وكانت حروبهم مع العرب دينية في مظهرها غير دينية في حقيقتها والمأمول من شنها وما كان مثل هذا من نيتهم ليخفى على العرب الذين ناشبوهمالحرب لكف عاداتهم عن دينهم ودولتهم.[2]

"ولما عظم شأن بني بويه منذ عام 32،قويت شكوتهم واتسعت رقعة ملكهم حتى أصبحوا أصحاب السيادة والنفوذ في بغداد مدة قرن من الزمان وما كان على الخلفاء إلا طوع يدهم على العرش يجلسونهم وعنه ينزلونه،ويذوقونهم ألوان الذل والهوان مما زاد الأمر سوءا أن البويهيين كانوا من الشيعة،فقد غلب البويهيين الخلفاء العباسيين على أمرهم وكأنما أرادوا

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 67 - 68.

[2]- المرجع نفسه : ص 69.

أن يثأروا للفرس من العرب ويشفوا غيظهم من تسلطهم عليهم بدليل شدة قسوتهم في اتخاذهم سخرية والتنكيل بهم في صورة تدل على الإهانة،ومما لاريب فيه أن معاملة بني بويهلبني العباس تقف على بعد الفرق بين معاملة الفرس للعرب والعكس صحيح،ففي فتح فارس قاتل العرب الفرس قتال شرفاء الرجال،ولم يقصروهم على الدخول في الإسلام بقوة السيف كما يعتقد بعض الباحثين من شرقيين وغربيين، وإنما حاربوا من أبو قبول الجزية من أهل الكتاب، سواء كانوا من الفرس أم غيرهم عملا بقوله تعالى في سورة التوبة: [قَاتِلُواْ ٱلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَهِوَلاَ بِٱلْيَوْمِ ٱلآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱهُٱنْ وَرَسُولَهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِ مِنَ ٱلَذِينَ أُوتُواْ ٱلَكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ] الآية: (78).[1]

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يسن بالمجوس سنة أهل الكتاب وقد غزا العرب في سبيل الله وبسم الله ،وأوصى النبي صلى عليه وسلم الغزاة المسلمين بتقوى الله وألا يغدروا ولايمثلوا ولايقتلوا وليدا ".[2]

حقيقة الأمر أن الفرس والعرب تعاودوا في حربهم بعد فتح العرب لإيران وكانت حربا طويلة المدى متعددة الوسائل والمظاهر،كما تدور الدائرة فيها على العرب حينا وعلى الفرس حينا آخر،حتى أديل الفرس من العرب،ثم تحكم المسودون في ساداتهم واشتقي المغلوبون من غالبيتهم ولئن انتزع الفرس أزمة الحكم من يد العرب لقد ظل العرب غالبين بدينهم وثقافتهم ولغتهم ونصرالله الإسلام على المجوسية وأخذ الفرس بثقافة العرب في شتى نواحيها،وأصبحت العربية لغتهم في التعبير الأدبي والعادي حتى اعتبر التكلم بالفارسية بين العرب من سقوط المروءة ومصداق لقول الأصمعي:"تحكم عليهم بالدناءة حتى يعرفوا رجل شممت منه رائحة نبيد في محفل،أوسمعته يتكلم في مصر عربي بالفارسية أورأيته على ظهر الطريق ينازع في القدر".فكأن التكلمبالفارسية في نظره منكر ليس فيه رضا الله كشرب الخمر مثلا،أما دوام العزة لدين العرب الذين حفظهم الله أن يغلبوا عليه،غير أن

[1]- القرآن الكريم : سورة التوبة ، (الآية : 78).

[2]- حسين مجيب المصري : المرجع السابق ، ص 70.

الأدلة منعقدة بين العرب والفرس من صلة المصاهرة وتجنيدها معروف منذ عهد بني أمية حيث قال عبد الملك بن مروان:"من أراد أن يتخذ جارية للولد فليتخذها فارسية".[1]

ومما لقي بين العرب والفرس وجمع بينهم"عيد النيروز"حيث يتألف من كلمتين فارسيتين هما:(نور)بمعنى جديد،(روز)بمعنى يوم،فمعناه "اليوم الجديد"،فاتخذه الفرس لإحياء عامهم الجديد وهوأول أيام السنة عندهم،لاتنتقل فيه الشمس من برج الحوت إلى برج الحمل إذيقول البيروني: إن أول من اتخذ هذا اليوم عيدا هوملك الفرس الأسطوري "جمشيد"،ويسمى سليمان بن داود في بعض المصادر العربية،وقيل في أصل هذا العيد أن الملوك والطيورأتته فقالت الفرس:"نوروزآمد" أي:"جاء اليوم الجديد"،فكان العرب يعرفون عيد النيروز وعيد المهرجان منذ قديم الزمان،وقال النبي صلى الله عليه وسلم قدمت: (المدينة ولأهلها يومان يلعبون فيهما في الجاهلية،وإن الله أبد لكم بهما خيرا منهما يوم الفطر ويوم النحر)،وأولمن رسم عيدالنيروز والمهرجان في الإسلام الحجاج بن يوسف الثقفي،ثم رفع ذلك عمر بن عبد العزيز،وقد أوردالقلقشندى عبارة حقيقية بالنظر إليها وهي أن النيروز يوم تسمو له العجم ويستعجم في العرب تشريفا له واعترافا بفضله واقتداء بأهله وأخذاً بسنتهم فيه،أي أن العرب تتلو العجم في تعظيمه،فهذا صريح في تأكيد أن الاحتفال بالنيروز كان يجعل العرب كالعجم لتشبيبهم بهم وتلك رابطة بين العرب والفرس لاشك أنها بلغت في القوة نهايتها.[2]

ودرج الفرس الأقدمون على تقديم الهدايا الرمزية إلى ملوكهم في عيد النيروزحيث كانوا يرفعون النار في ليلته ويرشون بالماء في صبيحته،زاعمين أن إيقاد النار يحلل العفونات التي أبقاها الشتاء في الهواء والرش بالماء لتطهير الأبدان من دخان تلك النار وقد أشار أحد الشعراء إلى هذا كله بقوله :

كَيْفَ اِبْتِهَاجُكَ بِالْنَيْرُوزْ يَاسَكَنِي وَكُلُ مَافِيهِ يَحْكِينِي وَأَحْكِيهْ.

فَتَارَةً كَلَهِيبْ النَّارِ فِي كَبِدِي وَتَارَةً كَتَوَالِي عِبْرَتِي فِيهْ.

أَسْلَمْتَنِي فِيهِ يَاسُؤْلِي إلى وَصَبٍفَكَيْفَ يَهْدِى إِلَى مَن أَنْتَ تَهْدِيهْ.

---

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 71- 75.

[2]- المرجع نفسه: ص 76.

وقد تأصلت عادة تقديم الهدايا إلى الملوك في نفوس الفرس إلى أبعد حد،سنة مرعية وواجبا لا يسع الرعية التقصير في أدائه نحو راعيها،غير أن تقديم الهدية تطور إلى تقديم للجزية إذ كانت مورد عظيما للدولة الإسلامية.ولم يكن عيد النيروز صلة بين العرب والفرس فقط،بل إنه جمع بينها على توقيت في دفع الخراج ،ولا يخفى ذلك من أهمية حيوية للدولةالتي تتلقى هذا الخراج والرعية التي تؤديه لها،وكان الخراج يستوجب الأداء في يوم النيروز،وفي هذا التاريخ بالذات كان يتم حصد القمح والشعير في فارس.[1]

كما اعتبرت الترجمة بين العرب والفرس صلة قوية عظيمة الأهمية،لأنها الوسيلة إلى نقل المعرفة بينهم وللمعرفة من صفات الدوام ماقد لا يكون لغيرها،وأثرها بعيد مداه،ونتائجها تحول و تطور، وكل مايترجم لابد أن يكون خاصا بأصله جديدا على ما يترجم له.فالترجمة تفضي إلى إتحاد فكري واندماج روحي،وفي هذا مافيه من قوة الربط بين من ترجم عنهم ومن ترجم لهم،مثلا ترجمة تواريخ الفرس للعرب التي علمت العرب مالم يكونوايعلمون عن الفرس،حيث جعلتهم يعايشونهم في أحداث بلادهم وسير ملوكهم،وينقلون عنهم مايعلمون ليروه ويضمونه في كتبهم، ككتاب "كليلة ودمنة "الذي نقله ابن المقفع عن الفهلوية إلى العربية،والذي يعد أعظم مترجمات ابن المقفع أهمية وأحقها بالذكر،فقد تداوله العرب والفرس مما فتح المجال في التقاءاللغة الفارسية والعربية على ألسنة بعض من شعراء وبلغاء الفرس،وبذلك تواكبت اللغتان وارتبطتا بثقافة إسلامية موحدة.[2]

إن أثر الفرس في العرب كبير،فهم الذين أشاعوا فيه اللهووالمجون ووصف الراح،فقد تأثر أدب الزهد كثيرا بنزعات الفرس وعنهم نقلت آثار كثيرة،فامتزاج العرب والفرس عظيم الأهمية من حيث كونها آثارعقلية روحية،تربت على ما كان بين القومين من خلاط ومزاج.

---

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 77.

[2]- المرجع نفسه : ص 99.

المبحث الثاني:أول من قال الشعر بالفارسية من الفرس.

قد أدرك الفرس القدماء أن أول من قال شعرا فارسياهو الساساني "بهرام جور" الذي تربى بين العرب على يدي المنذر بن نعمان من المناذرة في الحيرة وحكم باسم بهرام الخامس في إيران عام(420-483 ميلادية)فيقول الرواة:إن الشعر الفارسي بدأ به.[1]

ونسبت إليه أبياتا فارسية واضحة الاختراع والصنعة ،حيث يقول:

مِنَمْ آنْ بِيلْ دِمَانْ وَمِنَمْ آنْ شِيرِيلِهْنَامْ مِنْ بَهْرَامْ جُورْ وَكَنْتِيمْ بُوجَبْلَهْ.

الترجمة:

أَنَا ذَلِكَالْفِيلُ المُخِيفْ وَاَلْلَيْثُ الهَصُورْ كِنْيَتِي أَبُو جَبْلَهْوَاِسْمِي بَهْرَامْ جُورْ.

ونسب إليه من شعرعربي فمنه قوله:

أَقُولُ لَهُ:بِمَا نَظَرْتَ جُنُودَهْ كَأَنَكَ لَمْ تَسْمَعْ بُصُولاَتْ بَهْرَامْ.

وَأَنّي حَامِيْ مَلِكَ فَارِسْ كُـلَهْ وَمَا خَيْرُ مَلِكٍ لاَ يَكُونُ لَهُ حَامِيْ.

كما يقال أخذ عن ابن طاهر الخاتوني من كتاب القرن الثاني عشر الميلادي،إن الشعر فارسيا نقش في قصر شرين صاحبة الملك خسروانيروز(560- 298 م) وهذا الشعر لم يزل خطه واضح إلى عهد الدولة البويهي وهو من أهل القرن العاشر الميلادي.[2]

وقد ذكر الفرس عددا من الشعراء أقدمهم يعود إلى منتصف القرن الثاني الهجري،بعضهم يشك في أنه قال شعرا بالفارسية،كهذا الشعر المنسوب إلى" أبي العباس المارونـي" الذي كان واسع العلم بالعربية،حيث يعتبر هذا الشاعرأول من جرت الفارسية على لسانه قبل استقلال الدويلات الفارسية عن الخلافة العباسية،والذي يمدح المأمون بقصيدة فارسية يمدحه فيه :

يَامَنْ أَسْمَيْتَ بِاَلْعِزِ مَفْرِقَكَ إِلَى اَلْفَرْقَدَيْنِوَبِجَوْدِكَ وَفَضْلِكَ بَسَطَتْ فِي اَلْدُنْيَا اليَدَيْنْ.

[1]- مجلة المعرفة: المرجع السابق ، ص 17 .

[2]- لباول هورن : المرجع السابق ، ص 41 .

إِنَ الخِلاَفَةَ تَلِيقُ بِكَ كَمَا تَلِيقُبِالإِنْسَانْ العَيِنْ أَنْتَ لاَزِمٌ لِدِينِ الرَحْمَانْ كَمَا لِلْوَجْهِعَيْنٌ.

ومما يستحق النظر:أن هذا الشاعر يذكر في بيت تال أن أحدا لم يسبقه إلى صنيعه،مما يؤيد أنه أول شاعر فارسي مدح خليفة عربيا بشعر فارسي.[1]

وهذا الشعرالذي وصلنا من بدايات الشعر الفارسي،تتضح فيه خطوات الريادة من تلمس للطريق مع ضعف واضح، حتى استقام الأمر على يد شاعر موهوب "الرودكي السمرقندي"المتوفى سنة (329ه)،فهو شاعر فارسي من أهل القرن الثالث الهجرة،يعد أول الشعراء المفلحين في التاريخ الأدب الفارسي، كما كان مليح الصوت،يحذف العزف فقد نظم شعرا يهيج الشوق،وأبيات جيادا وتغنى بها،وهو يداعب بأنامله أوتار قيثارته.

فالفرس في القديم عرفوا الشعر الموزون على قواعد وأصول، فالشعر الفارسي له بحر ووزن وقافية،و ظل الشعراء الفرس عليه مدى الزمن.[2]

ويزعم أن زراديشت وهو أول من أنبياء الفرس، كما يسمى بكويندە وهي في الفارسية بمعنى المغني وقد تأتي بمعنى الشاعر أنه أول من قال الشعر الفارسي في سالف الدهر وصاحب تلك الأغاني المسماة "كاتا" وهي أول مثال أبقى عليه الزمان ليحتفظ به الفرس كتذكار لشعرهم،فقد حفظت هذه الأغاني في الصدور منذ عصر الساسانيين،وبلغتها بتمامها، ولقد عدت أناشيده أقدم شعر للفرس لأنها جرت على قواعد الشعر.[3]

قد اعتبر الفردوسي على أنه أول من قال الشعر بالفارسية، حيث يعتبر هذا الشاعر زعيم الشعر الحماسي الفارسي، من خلال كتابه حظي بشهرة كبيرة "الشاهنامه"وتعد هذه الكلمة في اللغة الفارسية و التي تعني "كتاب الملوك" أي الكتاب الذي يحتوي على أخبار الملوك و بطولاتهم و خوضهم المعارك، فبدأ يجمع كل ما يعنيه على ذلك سواء يمجد وطنه أو الأبطال الأقدمين على نظم الشعر، و بخاصة الشعر الحماسي،وذلك من خلال كلمة مكتوبة أوأسطورة شعبية تناقلها الناس فيما بينهم أومنظومة سبقه غيره إلى نظمها في

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق، ص 84.

[2]- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 18 .

[3]- لباول هورن : المرجع السابق ، ص 43.

بطولات الملوك والأبطال السابقين.ويقال أنه بدأ ينظم الشاهنامه في عام 354ه أوفي 370ه،وأنه استمر بنظمها طوال ثلاثين عاما من العمل الدءوب والسعي المتواصل حتى أتمها، والشاهنامه تقع كما يصرح الفردوسي نفسه في ستين ألف بيت من الشعر،كما أن الشاهنامه الفردوسي لم تكتف بالحديث عن المعارك و البطولات و الحروب ، بل تضمنت كذلك قصصا عاطفية،لعب الشاعر فيها بخياله ووجدانه،فكانت كواحة يستريح في ظلها القارئ بعد أن يسير مسافات كبيرة وسط صحراء المعارك و دروب الحروب.[1]

فقد اهتم شعراء الفرس بفنهم الشعري المفضل للرواية والقصص والأساطير ونظم المنظومات في أغراض شتى كالحماسة والعاطفة والوصف والمعاني والرمزية إلى غير من الأغراض التي حفل بها الشعر الفارسي.

لاشك أن تقديم نموذج صغير من الشاهنامه للقارئ أمر مثير للحيرة، فما أكثر القصص التي تحدث عنها الفردوسي والمعتقدات التي تفاخر بها كإيراني محب لتاريخ وطنه وأمته ومن بينها قصة "درفش كاوياتي"و تعني " العلم الإيراني "إذ يقول :

أَزَرْ أَنْجِرَمْكَاهِنْ كَرَانْ يَشْتْ يَايْ بِيُوشِنْد هِنْكَامْ زَخَمْ دَرَاي

هَمَانْ كَاوْه أَنْ بِرْسَرْنِيزَه كَـرَدْهَمَا نِكَهْبَازَارْ بِرْخَاسِتْ كَرَد

الترجمة:

"لقد صنع من تلك المرقعة الجلدية التي يحتمي بها الحدادون،ويلبسونها وقت طرق الحديد؛ فما أن أرفعها كاوه على رأس حربة ، حتى تعالت الهتافات في السوق ".[2]

ويقول أيضا :

خْرُوشَانْ هَمِيرْفَتْ نِيزَهْ بِدَسْتْكِيهأي نَامِدَارَانْ يَزْدَانْ بِرَسْت

كِسِيكِيه هَوَايْ فْرِيدُونْ كَنَـدْ سِرَازْ بَنْدْ ضَحَاكْ بِيرُونْ كَنَـدْ

---

[1]- بديع محمد جمعة: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية - بيروت – ط2، 1983، ص 191- 192.

[2]- المرجع نفسه : ص 194.

الترجمة:

فَمَضَى صَائِحًا وَالحِرْبَةُ فِي يَدِهِوَأَخَذَ يُرَدِدُ أَيُّهَا الأَخْيَارُ المُؤمِنُونْبِاَللَه

لِيَتَحَرَرْ مِنْ رقَـبَةِ الضَحَاكْ كُلَ مَنْيَمِيـلُ إِلى أَفْرِيدُون وَيَهْـوَاه.

ومع ما خطيت به الشاهنامهوالفردوسي من مكانة كبيرة ومنزلة سامية،فقد قال "إدوارد براون " لاشك أن شهرة الفردوسي في قول الشعر راجحة إلى نظمه للشهنامة ويكاد الناقدون و الغربيون يجمعون على الإعجاب بهذه الملحمة الهائلة [1].

ويقول"محمد بن مخلد السكزي "وهو الذي يزعم أنه أول من قال الشعر بالفارسية يمدح يعقوب ابن ليث عمار الخارجي يقول:

فَخْرُ كَنَد عَمَارْ رُوزْ بَزْرَكْكُوهَمَانِـمْ مِن كِهْ يَعْقُوب كَشْت

الترجمة:

أَنَّ عَمَارْ سَيَفْـتَـخِرُ يَوْمَ القِيَامَةِأَنَّهُمَنْقَتَلَهُ يَعْـقُـوبْ .

قد أصبح من المتعارف عليه في الآداب المقارنة أن لقب شعراء الرباعيات يطلق على شعراء الفرس الذين اهتموا بهذا الضرب من النظم، وجاءت أشعارهم في هذا الفن ويأتي على رأس هؤلاء الشعراء "عمر الخيام" الذي ذاعت شهرته وسميت منزلته بما فاضت قرائحه الفارسية خصوصا، والذي قل من الشعراء في شرق أو غرب من نال من بعد الصيت و نباهته [2].

إن اسمه مقترن بالأدب الفارسي و علم عليه عند جمهرة المتأدبين،ففي شعره الفارسي يتهافت فيه على مفاتن الدنيا ويتمسك بكل برهة من عمره ليستوفي خطه من المتعةوالبهجة قبل أن تأذن حياته بوداع ، كما أنه ناسك و ليس بفاتك، مهتد يهدي الضالين ويعظ الآثمين: والخيام الذي يقول :

[1]- بديع محمد جمعة: المرجع السابق ، ص 195.

[2]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق ، ص 120.

مَتَى دَانَتْ دُنْيَاكَ كَانَتْ مُصِيبَةًفَـوَاجِـبِي مَن ذَا القَرِيبُ المُبَاعِدْ

إِذَا كَانَ مَحْصُورَ الحَيَاةِ مَنِيَةُ فسيان حاَلاً كُلَ سَاعٍ وَ قَـاعِــدْ

و يقول الخيام في رباعياته:أن دينه و الضرب صفحا عن الكفر والدين، و إن دأبه ودينه ترشق صهباء ومنادمة الحسناء .

فشعراء الرباعيات كانوا يقولون كل رباعية في مناسبة خاصة بها، ويشترط في الرباعية وحدة القافية في المصاريع الأول والثاني .

فقد حفل الشعر الفارسي برباعيات في التصوف والحكمة والغزل، لم يكن الخيام يعتبر نفسه شاعرا بالمعنى الذي كان سائدا في عصره فلم يكن يتخذ من الشعر وسيلة للتكسب أو التقرب من ملك أو أمير، بل كان الخيام يقول الشعر لنفسه ولبعض الصفوة من أصدقاءه بعد ذلك،فكان شعره للمتعة في أوقات الفراغ و من قوله [1]:

بَرْخِيزْ بِتَا ، بِيَارْ بَهْـرَ دَلْ مَا

حَلْ كَنْ بِجَالْ خْويـشْتَــنْ مُشْكِلْ مَا

يَكْ كُوزِهْ شَرَاب تَابْــهُـمِ نُوشْ كَنِـيـمْ

زَانْيِبِـشْ كَهْ كُوزَهْ هَا كِنْدَازْكُلْ مَا

و المعنى يقول :

هَيَا أَيُّهَا الحَبِيبُ الصَبُوحُ وَتَعَالَ رَأْفَةً بِقُلُوبِنَا.

وَلِـتَحُلَ بِجَمَالِكَ الفَتَانْ جَمِيعَمَشَاكِـلَنَـا.

تَـعَالَ كَيْ نَـنْعَمَ مَعًا وَلَوْ بِـكَـأْسٍ وَاحِـدَةٍ.

قَبْلَ أَنْ تَصْنَعَالكُؤُوسُمِنْ طِيـنِـنَا.

[1]- بديع محمد جمعة : المرجع السابق، ص 217.

وقد حاول الفرس المعاصرون بعد انتشار الروح القومية بمعناها الغربي في أقطار الشرق الإسلامي،أن ينفقوا التأثير العربي مع وضوحه نفيا تاما، فنجد كتب الأدب طافحة بمحاولات يائسة تسعى جاهدة لطمس هذه الحقيقة،وملخص هذه الحجج:هو أن كتب الفرس قبل الإسلام وجد فيها الشعر كبعض القطاعات في كتاب "الإبستاق " في الأقسام التي يظن أن زرادشت في المجوس قد نظمها ،وكذلك بعض الكتب الفهلوية ككتاب "درخت أسوريك"وغيره.كذلك يستندون إلى وجود الموسيقى والغناء الراقيين عند الفرس لارتباط الغناء بالشعر؛ يستدلون ببعض الشعر الشعبي وهم يعترفون أن هذا الشعر لم يكن مقفى موزونا كالشعر العربي ، بل هو شعر يقوم على عدد المقاطع .

فكتاب "الإبستاق" لم يكتبوه على هيئة توحي بأنه شعر،وإنما هو فرية اخترعها المستشرقون من عند أنفسهم في القرن التاسع عشر، فحذفوا بعض الكلمات الزائدة التي نسبوا زيادتها إلى جهل الموابذة أي: "كبار رجال الدين الزر دشي" في استنتاجهم كتاب الإسبتاق حتى استقام لهم كلام متوازن فسموه شعرا. ثم إن هذه المعاني التي ترد في هذا الكتاب دينية محضة و ليست من موضوعات الشعر[1] .

ضف إلى ذلك أن معرفة الفرس الشعر المنظوم المقفى عن طريق العرب،هو أن الشعوبية في العصر العباسي افتخرت بمآكل و مشارب، ولم تستطع من هذه المسألة فتزعم أن لها شعرا، بل هم مقرون بفضل العرب في إعطائهم هذا الفن و يوضح هذا أيضا خلو اللغة الفارسية من كلمة شعر أو شاعر بل يستعملون نفس الكلمتين العربيتين منذ أن عرفوا الشعر العربي وقد يستعمل متعصبة الفرس في أيامنا ترجمات مضحكة لكلمتي شعرونثر، مما يقع كل شك في هذا الموضوع،أن الفرس لم ينقلوا لنا اسم شاعر واحد من أسماء شعرائهم قبل الإسلام،إذ من المحال أن تنسى أمة لها شعرا وشعراء [2].

[1]- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 18.

[2]-: المرجعنفسه: ص 19.

المبحث الثالث:تتلمذ الفرس على يد العرب.

من الواضح أن الفرس لم يعرفوا الشعر بمعناه الحقيقي إلا بعد تتلمذهم على يد العرب في هذا الفن، وهذا أمر لم يكن يناقش فيه أحد، حتى شعوبية العصر العباسي،ولم تنشأ هذه الدعاوى إلا عند متعصبة الباحثين المعاصرين، بل إن القدماء قد اعتبروا الشعر ميزة خاصة بالعرب، فهذا الشاعر "ناصر خسروا" (394-481ه) الرحالة والداعية الإسماعيلية يذكر في قصيدة له خصائص بعض الأمم فيقول :

عَرَبْ بْرُوه شِعْرَ دَارِدْ سَوَارِي　　　بِزَشْكِي كَزِيـد نَـدْ مَرْدَانْ يَـزَنْ.

رَهْ هِنْدْ وَانْ سِوَى يَنْرِتَكْك وَافُونْ　　　رَاءْ رُومْيَانَ زِى حَابِسْتُوَأْلجَانْ .

فيجعل الشعر للعرب، والطب لليونان،وللهنود العزائم، وللروم الحساب والموسيقى وليس هذا الأمر عجبا، فقد تنفرد بعض الأمم بجنس أدبي ضمن ظروف خاصة بها كالمسرح مثلا الذي نشأ و تكامل في اليونان، حتى أصبح فنا قائما بذاته، فالشعر الغنائي العربي هو شعر واضح السمات و المعالم،في مضامينه وطريقة تركيب القصيدة فيه وفي وزنه الذي يعد أكمل نموذج معروف بالتناغم والاطراد،فالعرب وإن كانوا ساميين، فقد انفردوا من بينهم بهذا الفن الأدبي، حتى لا يمكن مقارنة الشعر السياسي بالشعر العربي ذلك أن الأشعار العبرية قبل أخذهم أصول الشعر العربي، والآرامية لا تستطيع أن نعدها شعرا بهذا المعنى ، لأنها ضرب من الكلام المتوازن ، كما أنها تنحصر في معان دينية [1].

فمن المعروف أن هؤلاء الفرس قد أقبلوا على تحصيل الجانب الأدبي من الثقافة العربية فأصبح المئات و الآلاف منهم يحفظون الشعر العربي وظهر بين الفرس من نظم الشعر العربي والكتب والرسائل بالعربية، ولا ينبغي أن ننسى المحافل الأدبية المهتمة بالأدب العربي في بلاد الفرس مثل محفل الصاحب بن عباد الذي أعزم بالأدب العربي عزاما لا نظير له، والذي ألف كتبه بالعربية ، فرحلة المتنبي إلى بلاد فارس كانت ثمرة هذا الحب والكلف بالأدب العربي ، فقد ترفع عن المدح الصاحب في زيارته لإيران،ومن هذا نعلم أن الفرس قد تابعوا الثقافة العربية في آخر أشكالها ،بل إنهم أولى المعاصرين لهم من

[1]- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 20 .

الأدباء العرب اهتماما، فمثلا الثعالبي من خلال تأليفه كتاب "يتيمة الدهر "يؤرخ للشعراء العرب و للفرس ممن قال الشعر العربي، "وإن نظرة واحدة على عدد الشعراء من الفرس الذين قالوا الشعر بالعربية، يكفي للدلالة على تعلق هؤلاء القوم بالأدب العربي والثقافة العربية ".

إن هذا التتلمذ للعرب، والتدرب في قول الشعر على منحاهم، لا بد أن يترك أثرة في أذهان الفرس وفي عقولهم، وقد آتى هذا ثماره ،فبدأ بعض الفرس في قرض الشعر الفارسي على منوال الشعر العربي[1] .

وقد بلغ قمة التأثير العربي،في شاعر فارسي أحب الشعر العربي فقلد أشكاله فذكر الأطلال ووصف الرحالة،هو الشاعر "المنوجهري" هو أبو النجم أحمد بن قوص بن أحمد، المتخلص بمنوجهر من مواليد دامغان بفارس، وتوفي في شبابه 432ه. فالطبيعة الخلابة ومجالس الخمر كانا ملهمين في شعره،ولقد اشتهر بمزجهما معا في شعره ،ويلقي ضالته وجدانيا، مما يدل على أنه تملى جمالها و مجالسها في شبابه ما عبر عنه في شعره بأدق تعبير [2].

ويؤخذ من أشعاره أنه كان على اطلاع واسع بالثقافة العربية وكان متمكنا من اللغة العربية وكان مع مهارته في الشعرمتمكنا من بعض العلوم كالطب والنجوم وعلوم الشريعة الإسلامية، وقد ترك ديوان شعر يحتوي على ثلاثة آلاف بيت باللغة الدرية بطهران حوالي سنة 1880م .حيث تميز هذا الشاعر بالشعر الغنائي في هدوئه وعنفه وبساطته العميقة وفي رقته وعظمته،كما نجدأن المديح عنده أخذ الحيز الكبير من شعره ويجمع أغلب الباحثين على تسميته شاعر المديحفمزج في مدائحه بين الممدوح والطبيعة وقد تكون الطبيعة عنده حية أو صامتة وهي صورة كثيرا ماعرفت عند العرب قبله ومن الأمثلة الشعرية عند منوجهري ما معناه :

[1]- مجلة المعرفة: المرجع السابق، ص 22– 23.

[2]- علي الشابي : الأدب الفارسي في العصر الغز ويني ، دار الثقافة للنشر ، (د.ط) ، 1965، ص 181.

" لكأني أرى في طلعة الخواجة الجميلة ربيعا مزدهرا طلقا يتألف في شهور سبتمبر ولا تفسده الرياح الخريف العاتية " .

والأثر العربي في الصوروالتشبيهات والمعاني والمضامين لا تكاد تخلو منها القصيدة في الفارسية هذا لأن الشعر الفارسي ظل يستقي من معين الشعر العربي طوال عهوده بل قد طوى بعد ذلك مراحل التي طواها الشعر العربي،فانحدر بانحدار الشعر العربي حيث تأثر الفرس بالكتابة العربية،لأنها كانت أطوع في أيديهم من اللغة الفارسية التي تعوزها المصطلحات العلمية،كما أن الكتابة بالعربية يضمن للكتاب ذيوع عمله وانتشاره وقلما انتبه هؤلاء للكتاب الفارسية[1].

وقد بدأ الاهتمام بالكتابة الفارسية عندما تعاظم أمر الإسلام في بلاد الفرس وتقلص نفوذ المجوس تقلصا كبيرا بحيث غدا كل شيء، فعندئذ التفت العلماء وبعض الأمراء إلى ضرورة العناية بهؤلاء الذين لم تتح لهم الظروف تعلم العربية،لذلك بدأت هذه المحاولة في صورة الترجمة،فبدئ بترجمة تفسير الطبري بعد موافقة عدد كبير من الفقهاء ثم ترجم تاريخ الطبري. وهكذا اعتبرت هذه الترجمات اللبنات الأولى في صرح الكتابة النثرية الفارسية[2].

واستخدم الفرس الخط العربي مع إضافة بضعة حروف لاوجود لها في العربية لتؤدي أصوات خاصة بالفارسية وحدها دون العربية،كما أنهم في النطق بالألفاظ العربية نطقوها بحروف خاصة،فجعلوا "الحاء"هاء و"التاء"سينا و"الطاء" تاء،وكتبت الفارسية في بعض لهجاتها بالخط العربي كاللهجة الصدغية في ماوراء النهر وكان خطها مشتقا من أصل سامي كالخط الفهلوي،وقد ظهرت المؤلفات بها في ثلاثة قرون الأولى من الهجرة،وكتبت الفارسية في لهجة خوارزم بخط عربي،حيث دخل الفارسية كثير من الألفاظ العربية ومنها مايتعذر وجودها فيها مثلا:كالمسلم والكافر والمنافق والزكاة والمحراب والطلاق واليتيم والقرآن.....وغيرها،فهذه الألفاظ دخلت الفارسية ولم يكد الفرس في استخدام ألفاظ فارسية

---

[1]- يوسف بوجلة : مذكرة ماجستير : "تأثر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى ، الشاعر منوجهري نموذجا "، جامعة الجزائر ، كلية الآداب واللغات ، (2006-2007) ، ص 84 .

[2]- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 25.

عوضا منها،مما يذكر أنها في الفارسية تجرد من "أل" التعريف،وتصبح التاء المربوطة تاء مفتوحة في اللغة الفارسية.[1]

كان نصيب الفارسية من الألفاظ العربية أكبر وأعظم وكونت هذه الألفاظ جانبا ضخما من مفردات اللغة الفارسية،حتى كادت أن تكون كلها عربية، حيث كان تأثير اللغة العربية واسعا في الفارسية.قد تغيرت الحروف التي كانت تكتب بها اللغة الفارسية ،فتخلت عن الخط القديم وأصبحت تكتب بالعربية وأقبل الفرس على الخط العربي بحروفه السهلة ،وهي الحروف التي كتب بها القرآن الكريم، وبذلك هجر الفرس الكتابة الفهلوية بحروفها المعقدة التي يصعب تعلمها، فقد عرب عن الفارسية ألفاظ ومصطلحات فيما بينهم نذكر طائفة منها:[2]

اللفظة الفارسية	اللفظة العربية المعربة أو الدخيلة
نركس	نرجس
كل نار	زهر الرمان
بنفشه	البنفسج
مشك	المسك
آب	الماء
ملة	الدين
بوستان	بستان
برنامه	برنامج
كاك	الكعك

1- مجلة المعرفة : المرجع السابق : ص 26 .

2- سامي يوسف أبو زيد: الأدب المقارن " المنهج والتطبيق "، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، (د.ط.ت) ،ص 134.

المبحث الرابع: التوأمة بين اللغتين:

إن الحديث عن اللغة العربية هوحكم من الأحكام القائمة التي يلم بها وبحيثياتها إخوانها أدباء العرب إلماما يسهل على المتحدث مهمته،فهي لغة الفرقان التي بلغت من النضج والكمال درجة استيعاب كلمات الله التامات واحتضنت القرآن احتضان الوردة للعطر ينبئ عن قدرة الربيع، فاستوعبت كل معانيه ومضامينه الظاهر منها والباطن الحقيقي منها أو المجازي وعبرت الأذن والقلب والروح،فموسيقت ووقعت ورسمت ولونت وحركت وسكنت وجسدت وأبكت وأضحكت ولم تترك في الإنسان وترا لم تعزف عليه أغنيةخشعت لها القلوب وصحت على أنفاسها الأعماق الغافلة تندرج من اللايقين إلى علم اليقين .فماذا يقول قائل في لغة القرآن "اللهم إلا أنها لغة القرآن" وأما طفولتها فقد كانت تبنى بهذه النجابة فهي تمتاز بوجه خاص، فالحكم على نضج العربية كوسيلة قادرة على التعبير في حد من الغنى لا يحتاج إلى مزيد من الحيثيات[1].

فقد وجد الفرس مس الحاجة إلى معرفة العربية لأنها لغة القرآن الكريم والحديث الشريف وأحكام دينهم الجديد الذي دخلوا فيه أفواجا و أقضى ذلك بلغتهم الفارسية إلى أن تنكمش في صدور قلة من أهل البلاد ،تعتبر محدودة ضئيلة إذا قيست بالكثرة الكارثة[2].

وكان الفارسي المتعلم حتى في الزمن المتأخر مندفعا إلى التحرير بالعربية مباهاة منه بالتطلع من لغة صعبة، مما يرفع منزلته ويذيع شهرته ويدل على أنه يفهم القرآن حتى الفهم و يشير إلى أنه من أهل التقوى كما يمهد سبيله إلى تبوء المناصب في الدولة ؛ويؤيد الثعالبي جانبا من هذه الدعوى بقوله "إن اللغة العربية نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب و العجم ومن هداه الله للإسلام و شرح صدره للإيمان اعتقد أن العربية خير اللغات و الإقبال على تفهمها من الديانة، إذ هي مفتاح التفقه في الدين وأداة العلم وسبب إصلاح المعاش والمعاد ولم يكن التبحر فيها إلا قوة اليقين في معرفة إعجاز القرآن وإثبات النبوة لكفى بهما فضلا وبذلك شاعت العربية وذاعت وأصبحت اللغة الرسمية إلى كونها لغة الدين

[1]- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 30.

[2]- حسين مجيب المصري : المرجع السابق ، ص 79.

والعلم والأدب وقد أحب الفرس العربية وتعلموها وحذقوها وحرصوا على الإسلام أشد الحرص؛فانتشار العربية وتوطدها في بلاد الفرس أن هذا من حالها دام حتى بعد نشأة الإمارات الفارسية التي بعثت قومية الفرس بالخروج على الخلافة العباسية وإخضاعها لسلطانها، وأحيت اللغة الفارسية وآدابها على أن ذلك أهم مظهر من مظاهر السيادة الفارسية واستيراد الفرس لكيانهم الحضاري،غير أن الفارسية لم تكن لتقوى على الوقوف إلى جانب العربية وقفة الند المنافس فضلا عن أن العربية ظلت أساسا متينا ركيزا للثقافةوكان العلم بها أمرلا غنى عنه لكل من أدركته حرفة الأدب،وأصبحت لغة العلماء ولأدباء من الفرس وكان المعبرون بها أكثر عددا من المعبرين بالفارسية بما لا مجال فيه للمقايسةوبذلك مست الحاجة إلى وضع التفاسير القرآنية وتقييد الحديث مخافة ضياعه، ومعرفة الأسانيد وتعديل الناقلين، وأصبحت العلوم الشرعية ملكات في الاستنباط والاستخراج والقياس،واحتاجت إلى علوم أخرى هي وسائل لها، وبذلك اشتغل الفرس بالعلوم لأنهم اختلطوا بالعرب واتخذوا العربية لغة لهم واضطروا لدراستها لإجادتها ، بدليل ذلك الخبر المشهور الذي يروى في نشأة علم النحو وما ينطبق على علم النحو يمكن انطباقه على غيره من العلوم. والمشاهد أن دارسي اللغة من غير أبنائها يولونها من العناية بتفهم أصولها و تذوق أدبها وكتناه روح ثقافتها ما قد يوليه معظم أبنائها ، فكان ذلك باعثا قويا دفع الفرس على التأليف والتصنيف الإحاطة بالأصول والفروع [1].

تعتبر اللغة الفارسية ثاني لغات العالم الإسلامي لا يتقدم عليها إلا العربية، لكونها لغة القرآن،إذ نشأت هذه اللغة في حضانة العربية تحت تأثيرها الشديد ومن أهم مظاهر هذا التأثير،كتابة اللغة الفارسية بالخط العربي و كثرة الألفاظ العربية في الفارسية .

إذ تعد هذه اللغة هي لغة آرية من مجموعة اللغات الهندوأوروبية،وهذه اللغات واسعة الانتشار في الهند و أوروبا[2].

---

[1]- حسين مجيب المصري : المرجع السابق ، ص 80 -82.

[2]- مجلة آداب البصرة : "أثر المقامات العربية في الأدب الفارسي " ، (جامعة البصرة) ، ع: 49 ، 2009 ، ص 31.

" فلم تمت اللغة الفارسية من اللغات الهلينية أو القبطية مثلا، بل لقد استفادت من اللقاء إلى أبعد الحدود، وهذا يرجع إلى عاملين أولهما أنها كانت لغة قوية غنية، استطاعت بما لديها من إمكانيات وتراث أن تقنع العربية بشخصيتها، وثانيهما أنها تلقت العربية بالحب الذي تلقى به الإيرانيون العقيدة الإسلامية، فنقول لقد جرت عادة علماء اللغات على تقسيم هذه اللغة التي تعتبر في أصلها فرع من اللغة الهندوأوروبية إلى ثلاثة أدوار :

أ)- دور الفارسية القديمة: وتعرف باسم "باريسي باستان " وتكتب بالحروف المسمارية أي حروف شبيهة بالمسمار تنقر على الأحجار وقد عثرعلى بقاياها من منقورات حجرية في نواحي بيستون والوند، سجل بها الملوك الأخمينيون آثارهم وفتوحاتهم والشعوب التي حكموها .

ب)- دور اللغة الأوستائية :وهي لغة " الأوستا " وهي قريبة الشبه بالفارسية القديمة وقد وصلت إلينا عن طريق الكتب وهذه الأخيرة في حد ذاتها تجمع بين الناحيتين الدينية والأدبية،إذ أن البعض من أقسامها يمتاز بروح أدبية وأساليب فصيحة، وخاصة في مواضيع الحمد والشكرلله ووصف الطبيعة . والأوستا تجمع بين النثر و الشعر الموزون المقفى، كما يتجلى ذلك في " كاتها " الذي يعتبر أقدم فصل من فصول الأوستا، فكلمة "كاتها " تعني النشيد .وكان الشعر في ذلك الوقت يقوم على أساس الوحدة الصوتية أو المقطع ، والبيت يتكون من مصراعين و تتفاوت المصاريع في عدد الوحدات الهجائية، حيث أن هذه الأناشيد كانت تغنى وترتل في المعابد و المحافل الدينية والاحتفالات الملكية ولازالت هذه اللغة موجودة وموضع اهتمام علماء اللغة"[1].

ج)- دور اللغة البهلوية أو الفهلوية : هي عبارة عن امتداد الفارسية القديمة التي تطورت على مر الزمن، وتنقسم إلى الإشكائية والساسانية حيث تندرج هذه الأخيرة مع إحدى اللهجات السائدة في البلاط في جنوب إيران وتنقل من هنا إلى خراسان وتكون اللهجة الدرية هي اللغة السائدة و دامت حتى اليوم،فالتراث الأدبي لهذه اللغة هو ما كتب بها الكتب الدينية والعلمية والأدبية في شكل القصص والحكايات،وقد فقد منها الكثيرإلا أن المراجع

[1]- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 31 – 32 .

العربية والإيرانية القديمة تشير إلى الكثير من أسماء هذه الآثارومن بينها كتب علمية وفلسفية كانت موجودة في العصر الساساني وخاصة عصر أنوشروان، حيث قامت نهضة فلسفية اجتماعية في ذلك العصر ونقلت العلوم من السنسكريتية إلى البهلوية،واتسمت ثقافة إيران وألفت كتب قديمة في الأخلاق والاجتماع وغيرها من المصادر العربية إلى أسماء بعض الكتب، ونقلت عنها وترجمتها "كالمحاسن والأضداد والأدب الكبير والصغير"،ولا يمكن تجاوز هذا المجال دون أن ننوه بالكتاب الشهير" كليلة ودمنة "الذي ترجم عن السنسكريتية إلى الفهلوية وترجمه منها إلى العربية ابن المقفع،وعند تلاقي اللغة الفهلوية بالعربية كانت لغة سائدة في نطاق الدولة الساسانية كلغة للدين والعلم وتمتعت بتراث روحي عظيم وآثار أدبية بين الشعر والنثر في مختلف الصور والأشكال مثلا من الأغنيةإلى القصة،وغيرها من النتائج الفكرية التي تداولتها اللغتان فيما بينهما.[1]

فما وفت الألفاظ الفارسية القديمة بحاجة الحياة الجديدة،لأن عباراتها عبرت عن معان سياسية ودينية وفارسية محضة،عجزت عن مجاراة العربية في قدرتها العجيبة على الاشتقاق، والتعبير الذي يعتبر أكثر دقة وأوضح إبانة من تعبيرها ولذلك تسربت إلى الفارسية ألفاظ عربية وكان تسربها بطيئا متواصلا،مما أفضى إلى امتزاج اللغتين وقد زاد تأثير الفارسية بالعربية في نهاية العصر.[2]

ومن هنا يمكن القول أن التقاء اللغتين على مستوى العقيدة الواحدة،قام على أساس الدين الإسلامي الذي ينفذ إلى قراره الحياة الأدبية الفارسية،وذلك لأن الأمة الإيرانية تلقت اللغة العربية كما تلقت الدين سواء بسواء ومعظم هذه الأمة تعلم اللغة العربية كأنها وسيلة ينتهي بها إلى باب الرب الرحمان،لاعلى أنها لغة قوم غالب يجب الإقتداء بهم،وعلى هذا فلم يكن بين الفارسية والعربية ما بين العربية واللغات الأخرى،وبقدر ماكانت الفارسية محتاجة إلى العربية من ناحية العقيدة، كانت العربية محتاجة إليها من ناحيتها الاجتماعية والثقافية أو نظام الحكم ومصطلحا ته.ولهذا تم التواؤم بين اللغتين ،وعلى هذا أثر كل من اللغتين في الأخرى تأثيرا ظاهرا ملموسا من تعدد الكلمات في التربية والعكس،فكان على كل شاعرأو

[1]- مجلة المعرفة : المرجع السابق ، ص 33.

[2]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق ، ص 88.

أديب أن يلم بالصرف والنحو العربي إلماما تاما وأن يحفظ كثيرا من الشعر العربي حتى يكون أساسا لعلمه الأدبي[1] .

"فالعربية والفارسية كانتا في كفتي الميزان، إن راجحت إحداهما شالت الأخرى، فمنذ عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد السلطان محمود الغزنوي،كان تدوين أوامر الدولة والرسائل الديوانية بالعربية وذلك أن الإمارات الفارسية التي قامت في إيران هي التي ازدهرت الفارسية فيها،وتأتى لها أن تصبح لغة أدب لها كيانها الخاص بها،غير أن العربية مع هذا كله لم يضعف شأنها،بل كان لها الرجحان على الفارسية من حيث كونها لغة تأليف وتصنيف والإنتاج الأدبي فيها أكثر من الفارسية بما لا مجال فيه.

ومن هنا يمكن عرض بعض البلغاء المعروفين بأصحاب اللسانيين، وذلك لأن منهم من كان اهتمامه بإحدى اللغتين أكثر من الأخرى ومن بينهم الأمير "قابوس"الذي كان يقول الشعر بالفارسية والعربية،كان منقطع النظير في علو همته وكرمه وأدبه.

فالعربية بلغت الأوج عند الفرس،حتى استحال عقلا وواقعا أن يفصل بينها وبين الفارسية في ثقافة كل من أخذ نفسه بتحصيل العلوم أو حرث الآداب،وبذلك كانت نسبة آداب الفرس إلى آداب العرب نسبة الأمثال إلى الأمثال والأشباه إلى الأشباه "[2].

[1]- حسين مجيب المصري: المرجع السابق : ص 89 - 90 .

تمـهيـد:

مجنون ليلى شخصية إسلامية من شخصيات القرن الأول للهجرة،وشاعر من الشعراء البادية في تلك الحقبة من التاريخ التي ازدهر فيها الغزل العذري على يد شعراء وقفوا حياتهم على حب واحد يتغنون به في عفة،ويصدرون فيه عن عاطفة حارة وحرمان متصل،حرمان أشبه ما يكون بهذا الحرمان الإرادي الذي تعمل الإرادة على تغذيته من وقت لآخر".[1]

"فقد اشتهرت قصة" ليلى والمجنون "في الأدبين العربي والفارسي بشخصيات متعددة من بينها العاشقان ليلى وقيس.

1 -**قيس بن الملوح**:بن عامر الملقب بالمجنون،شاعر غزل عربي من أهل نجد عاش في فترة الخلافة مروان بن الحكم وعبد الملك بن مروان في القرن الأول من الهجرة في بادية العرب،الذي كان يهوى ابنة عمه وهما صبيان .

2 -**ليلى** :بنت مهدي بن سعد بن مهدي بن سعد بن ربيعة بن الحرش بن عامر بن صعصعة،التي أحبت قيس وهما صبيان صغيران كانا يرعيان الإبل،وهي ابنة عم قيس.

3 -**والد ليلى:**وهو عم قيس،ويمثل القسوة و الحقد على قيس، ويبقى على قسوته حتى يموت العاشقان.

4 -**والد قيس**: وهو الأب العطوف الذي يبذل كل ما في وسعه، ليحقق الأم عن ابنه مستعطفا مواسيا له.

5 -**الأمير نوفل بن مساحق** : عامل الخليفة على الصدقات،الذي وعد قيس بأن يساعده في الظفر بمحبوبته،لكنه لم ينجح في مسعاه .

6 -**ابن سلام** : وهو زوج ليلى".[2]

[1]- محمد زكي العشماوي: المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة " دراسة تحليلية مقارنة " ، دار النهضة العربية – بيروت – (د.ط.ت) ، ص341.

[2]- داودسلوم : الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط 1، (د.ت) ، ص 123.

المبحث الأول:ليلى و المجنون في الأدب العربي:

نشأ "قيس بن ملوح "من "بني عامر" و" ليلى بنت مهدي" في بيت من ثراء كان وهو في ما يبدو من قبيلة أرفع شئنا من قبيلتها ، كان فتى جميلا أديبا يحفظ أشعار العرب و يكثر من روايتها وقد أحب قيس ليلى منذ كان صغيرين يرعيان البهم أو الإبل وظل الحب ينمو بينهما، وكان من اليسير أن تمضي الأمور كما يحلو بين الحبيبين بعدما كبرى لولا أن الفتى غلبه الحب فأنساه ما كان يجب عليه من احترام التقاليد العربية فقد أشار قيس إلى قدم حبهما بقوله:[1]

تَعَلَقَتْ لَيْلى وَهِيَ غَيْرُ صَغِيرَةٍ وَلَمْ يُبْد لِلْأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمٌ

صَغِيرَيْنِ نَرْعَى البِهَمْ،يَالَيْتَ أَنَّنَا إِلَى اليَوْمِ لَمْ نَكْبَر وَلَمْ تَكْبَر البِهَمُ

ويعني هذا أن قيسا ضاق قلبه و صدره عن كتمان حبه فباح به شعرا يجري على لسانه، وحرمان وجدانه فقد اضطر في تسريح اسمها في أشعاره حيث نظم فيها العديد من القصائد الجميلة وقد ردت عليه من خلال هذين البيتين بقولها:

كِلاَنَا مَظْهَرٌ لِلْنَاسِ بُغْضًا وَكُلٌعِنْدَصَاحِبِهِمَكِينْ

تُخْبِرُنَا العُيُونُ بِمَا أَرَدْنَا وَفِي القَلْبَيْنِ ثَمَ هَوَى دَفِينْ

وقد سمع الناس هذه الأشعار فتنقلوها،حيث أصبحت ليلى وحبها حديث الناس في كل مكان وتردد اسمها على الألسنة و في المنتديات، و أذاع الفتى بلسانه و أشعاره ما كان يجب أن يحفظه وعارض حبيبته لما لا يحسن تعريضها له وعرف الناس جميعا ما كان من أمها مع حبيبها، ولهذا أثار أهلها ثورة شديدة على قيس الذي أساء إلى الفتات وأساء إلى أهلهافقد حجبت عنه ومنعت من رؤيته ونتيجة هذا الحرمان فقد اضطربت أحوال قيس واختل توازنه،فتقدم والده لخطبتها له ولكن والدها وهوعم قيس يمثل القسوة والحقد عليه فرفض الزواج نزولا على تقاليد البادية.[2]

---

[1]- طه ندا : الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، (د.ط.ت) ، ص 161.

[2]- المرجع نفسه : ص 162.

والمعنى في ذلك أن من عادات العرب تقضي بعدم تزوج الفتاة من الفتى تشبب بها وحرمانه منه،ورفض هذا الطلب تمشيا لما تقتضيه التقاليد وخوفا من العار،على الرغم من أن ليلى دون قيس شرفا وجاها وأنها ما كانت لتطمح في مثله .

فأمام هذا الرفض ازدادت حالته سوءا وذهولا،حيث كان قيس لا ييأس من لقائها ويحتال على ذلك بأساليب كثيرة فمنها كان يأتي بحبها في غفلة من أهلها ليلقاها،ومنها أنه كان يتخذ الرسل بينهما ليعرف أخبارها حين يصعب لقاؤها،ومنها أنه أوفد إليها أمه تستميلها وتشرح لها ما أصاب ولدها من عشق،ومنها والده العطوف الذي يبذل كل مافي وسعه ليحقق أمله ويتبعه إلى الخلوات،مستعطفا مواسيا وأن يسري بأن يزوجه فتاة أخرى تفضل ليلى حسنا وجمالا،فرفض قيس الاقتران بأن فتاة غير محبوبته ليلى وقال في ذلك:وَقَـالُوا لَوْ تَشَاءْ سَلَوْتُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهُمْ فَإِنِّـي لاَأَشَاءْ

وَكَيْفَ وَحُبُهَـا عُلِقَ بِقَلْبِـي كَمَـا عُلِقَـتْأَرِيشَةُالـدَلاَءْ

الأَرِيشَةُ:جمع الرشاء،وهو الحبل

وكثيراما كانت ليلى تعد بالزيارة واللقاء ولكنها مع ذلك لاتوفي بما وعدت لأن الظروف لم تكن تعينها،حيث ضاق أهل ليلى بهذا العاشق ومحولاته المتكررة للقاء بحبيبته،فقرروا أن يبتعدوا ويرحلوا عن ديارهم."[1]

فظل قيس يمشي الحي ويقول:"الموت أروح لي، فارتحل أهل ليلى وأبعدوا،وجاء المجنون عشية،فأشرف وقصد منزل ليلى الذي كان بيتها فيه،فألصق صدره به وجعل يمرغ خديه على ترابه ،ثم أنشأ يقول:

أَيَا حِرْبَاتُ الحَي حِينَ تَحْمِلُوا بِذِي سَلاَمٍ لاَ جِدَكُـنَ رَبِيعُ

خَيْمَاتُكِ اللاَّتِي بِمُنْعَرَجِ اللَوَى بَلِينٌ بَلَى لَمْ تُبْلِهُـنَ رُبُـوعُ

نَدِمْتُ عَلى مَاكَانَ مِنِي نَدَامَة كَمَا يَنْدَمُ المَغْبُونُ حِينَ يَبِيعُ

[1]- رامي فواز أحمد المحمودي : النقد الحديث والأدب المقارن ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2008 ، ص 137.

فَقَدْتُكِ مِن نَفْسٍشِمَاع فَإِنّنِي نَهَيْتُكِ عَن هَذَا وَأَنْتِ جَمِيعُ

ثم بدأ قيس يهيمفي الحي، ويهمل نفسه فرآه عمر بن عبد الرحمان بن عوف عامل بن الحكم على الصدقات فرق له و خرج معه إلى قوم ليلى يوسط لديهم،غير أنهم أخبروه بخبره وأن السلطان قد أهدر دمه فرجع بن عوف وأمر له بقلائص،فردها المجنون وانصرف و قد زادت ألامه حيث يقول :

رَدَدْتُ قَلاَئِصَ القَرِيشِي لَمَا بَدَا لِي النَقْضُ مِنْهُ لِلْعُهُودْ

وَرَاحَةُ مُقْصِرِينَ وَخَلَفُونِي إِلَى حُزْنٍ أُعَالِجُهُ شَدِيدْ

والمعنى من ذلك أن العاشق يهيم على وجهه في الصحراء، وينفعل بين اليأس والرجاء حتى لقي في أحد الأيام ابن عوف عامل خليفة على الصدقات، ورجاه حتى يكون رسوله عند أهل ليلى وأن يعمل على إصلاح مافسده من الأمر،وظّن قيس أن ابن عوف سيحقق أمله،ولكن مهمته تفشل أمام إصرار والد ليلى على الرفض،فكانت صدمة شديدة على قيس وتأثر عقله.ثم رق له نوفل ابن مساحق عامل الصدقات بعد ابن عوف فقال له:"أتحب أن أزوجكما ؟فقال:وهل إلى هذا من سبيل؟فوعده ببذل الجهد فيه،ودعا له بثياب وصار المجنون على هذا الأمل كأصح أصحابه، غير انه لما بلغ ابن مساحق قوم ليلى وتلقوه بالسلاح وقالوا:"إن السلطان قدأهدر لنا دمه،ووالله لا يدخل منازلنا أبدا فأقبل بهم ابن مساحق وأدبر،فأثر رد قيس ورجع وبلغ به البلاء مبلغه".[1]

والمعنى أن ابن مساحق فشل كما فشل قبله ابن عوف، فلم يستطع إقناع أب ليلى ويزحزحه عن موقفه فقد تصور هذا العامل من خلال منصبه ومكانته العالية أن ينجح في طلبه،لكنهكان واهما،فذلك الأب المجروح والمطعون في كرامته بين الأهل والقوم رفض أن يغير رأيه.[2]

ولما يئست ليلى من حبيبها، استسلمت لما أراده أهلها من تزويجها صونا لسمعتها، حرصا على التقاليد،و رفعا لشأن أبيها في أعين القوم، فرآها وجيه من وجهاء بني ثقيب

1- عبده الراجحي : محاضرات في الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، ط3 ، 2007 ، ص 59 .

2- المرجع نفسه : ص 60 .

يدعى "وردا " وهو شاب عربي ثري، فخطبها وتزوجها، ولما وصل إلى علم قيس نبأ زواجها من "ورد" طارت البقية من عقله و دخل المرحلة التي استحق لقب المجنون :

أَيَا وَيْحَ مَن أَمْسَى يُخْلِسُ عَقْلَهُ فَأَصْبَحَ مَذْهُوبًا بِهِ كُلَ مَذْهَب

خَلِيعًا مِن خَلاَن إلاَ مُجَامِلاً يُسَاعِدُنِي مَن كَانَ يَهْوَى تَجَنُبِي

إِذَا ذَكَرْتُ لَيْلَى عَقِلْتُ وَوَجَهْتُعَوَازِلَ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِبْ

فأصطحبه أهله للحج لعله يجد هناك شفائه، وقال له أبوه :تعلق بأستار الكعبة وسأل الله أن يعافيك من حب ليلى فقال قيس :"اللهم زدني لليلى حبا، وبها كلفا، ولا تنسني ذكرها أبدا"ولما رأى الحجيج محرمين أنشد يقول :

دَعَا المُحَرِمُونَ الله يَسْتَغْفِرُونَهُبِمَكَةٍ وَهُنَا أَنَّ تُمْحَى ذُنُوبَهَا

وَنَادَتْ أن يَارَبْ أَوَلُ سُؤْلِي لِنَفْسِي لَيْلَى ثُمَ أَنْتَ حَسِيبُهَا

فَكَمْ قَائِلٌ قَدْ تَبَ، فَعَصَيْتَهُوَتِلْكَ لَعُمْرِي تُرْبَةٌ لاَ أَتُوبُهَا

ولما ضاق منه الناس و يئس منه قومه تركوه، ففكر أن يهيم في الصحراء، و ظل يحويها حيث يأنس فيها الوحوش و الطيور، وكان يهيم في الصحراء حتى يقطع المسافات الشاسعة فلا يعرف موقعه ولا أين يذهب، ويقال إن الوحوش كانت تألفه وتلتف حوله فقد كان يؤثرها على نفسه ويقدم لها مايقع في يده من طعام، وكان لحبه الحيوان لا يطيق أن يراه أسيرا في شبكة الصياد، ويسعد لما يرى الظباء لأنه كان يرى فيه صورة حبيبته، وإذا وقع في الشبكة يسعى لإنقاذه ويذكره هذا في أسرحبيبته عند أهلها وذلها في زوجها ممن لا تريد.[1]

حتى وافاهأجله في سن صغيرة، حيث وجد ميتا في واد كثير الحجارة، فحمله أهله وغسلوه و كفنوه و دفنوه، فقال الهيثم: حدثني جماعة من بني عامر أنه لم تبق فتاة من بني جعده إلا خرجت حاسرة صارخة عليه تندبه، واجتمع فتيان الحي يبكون عليه أشد بكاء وحضر منهم

[1]- عبده الراجحي: المرجع السابق ،ص 61.

من حي ليلى معزين وأبوها معهم فكان أشد القوم جزعا وبكاء عليه وجعل يقول:" لو علمت أن أمره يجري على هذا ما أخرجتها عن يده ولا احتملت ما كان علي في ذلك و قال الهيثم :" ما رؤى يوما كان اثر باكية و باكية على ميت من يومئذ.[1]

[1]- طه ندا : المرجع السابق ، ص 162.

المبحث الثاني: ليلى و المجنون في الأدب الفارسي:

من أشهر شعراء الفرس الذين نظموا هذه القصة الشاعر" **نظامي الكنجوي** "(539-808ه) نسبة إلى بلدته كنجه، وترجع شهرته إلى منظوماته الخمس التي تعرف باسم "خمسة نظامي" و من بينها منظومته عن ليلى و المجنون .[1]

وقد كتب قصته ليلى و المجنون معتمدا في معظم تفصيلتها على الروايات العربية، حيث بدأها بمقدمة طويلة بعضها أشعار في مناجاة الله و بعضها في مدح الرسول صلى الله عليه و سلم و بعضها الآخر في التغني بالخمر التي يستعيد على أقداحها ذكرى من قضوا من الخلان و الأصدقاء، فقال: كان هناك ملك عظيم ذو جاه و مال وافر كان هذا الملك العامري مشهودا بقرى الضيفان والكرم ولكن مع كل هذا لم يكن له من يخلفه في حكم بني عامر لذا كثيرا ما كان يتذرع إلى الله أن ينعم عليه بابن تقربه عينه ويحمل اسمه، فستجاب الله لدعائه فمنحه ابنا كالبدر فسماه "قيس"حيث نشأ قيس محاطا بالعديد من المظاهر العناية والرعاية وظل يلعب حتى بلغ العاشرة من عمره،وصار فتنة الخلق وسحر الوجود،وهنا أرسله والده لأحد المكاتب لطلب العلم والمعرفة،فالتقى قيس بمجموعة أبناء وبنات البيوت الكبيرة ومن بينهم الدرة النقية تنفذ نظراتها إلى القلوب وهي ليلى وكأن وجهها وسط الذوائب،وشعرها مصباح في الليل،فتعرف قيس بها فأحبها،وتوطدت الزمالة بينها حتى وصلت بينها إلى حد الحب وارتفعت مع الأيام إلى مرتبة العشق الجارف.[2]

ولما ذاع هذا العشق أصبح الجميع من أصحاب المكتب يتحدثون عن هذا الحب،ففشا سرهما وأصبح خبرهما على كل لسان،وكلما مرت الأيام زاد العشق تمكنا من قلب قيس وعقله حتى أصبح أسيرا له وبدا يؤثرعلى تصرفاته واتزانه، حتى أصبح يطلق عليه اسم المجنون؛ فحجبت ليلى عن قيس حتى جن جنونه وبدأ ينتقل بين الوديان والقفار،وينظم أشعارا تفيض رقة وعذوبة، ومفعمة بالأسى واللوعة، وكان مما يقوله:"ياشمع أسرارالروح،رفقا بفراشة روحي حتى لا تحترق بنارك،أنت الدواء لدائي،والمرهم لجرحي،قد أصابتنا العين ففرقتنا............"؛ فكانت إقامته في حي ليلى تسمح لهما أحيانا

[1]- طه ندا : المرجع السابق ، ص 163.

[2]- رامي فواز أحمد المحمودي : المرجع السابق ، ص 138.

بالالتقاء خلسة بعيدا عن عيون الرقباء،وزادت حالة قيس سوءا في هيامه في حبه،فذهب والده ليخطب ليلى من والدها،لكن أباها لم يوافق على زواج ابنته من قيس،ففي نظر والد ليلى أن قيس لم يسلك مسلك العقلاء،ولذا أبى الوالد أن يزوجها بمن شهر بين الناس بالمجنون.

وأضحى المجنون على نصائحهم مبلبل الخاطر، يضرب هائما في الجبال وصحاري نجد،يتغنى بأبيات يرددها كل من سمعها وكان حال ليلى شبيها بحال قيس،فقد كان حبها يزداد ويقوى كلما توالت السنين،وكانت دائمة التلهف لرؤية معشوقها والجلوس معه". [1]

وذلك أن الشاعر **نظامي الكنجوي**في منظومته"ليلى و المجنون " يدعي أن المجنون هو ابن ملك صاحب ثراء وسطوة، حيث جعل الالتقاء بين قيس وليلى في المكتب وهو المكان الذي كانا يذهبان إليه من أجل التعلم وحفظ القرآن إذ تعلق قيس بليلى وأحبها وأبهر بجمالها وحتى هي بادلته نفس الحب وصار يلتقيان كثيرا، وأصبح حبهما سيرة على لسان كل الناس والأصدقاء. وبعد سماع أهلها حجبت عنه ولم يستطع قيس التحمل فساءت أحواله وصار يهيم بين الوديان و ينظم أشعار في محبوبته ليلى، لأن حبه فيها أثر على نفسيته وعقله.

واشتد الأمر بقيس وطلب أهله له الدواء واتفقوا أن يذهب به إلى الكعبة فأعد أبوه العدة للرحيل به في موسم الحج ولما انتهى إليها قال لابنه: هذا مقام الجد فانظر علك تجد دواء لما بك، فتعلق بأستار الكعبة واطلب لنفسك الخلاص ..... فبكى المجنون ثم ضحك، وتلوى تلوي الثعبان ثم تعلق بحلقة الكعبة و قال :" بعت روحي في حلقة العشق، فلا كانت لي أذن بدون تلك الحلقة، يقولون لي دع عنك أمر العشق، والعشق قوتي بمائه وأدم لعيني حلية الاكتحالبه،ويارب زودني من عشقها، وإذا قصر عمري العشق فزده في عمرها فبدون خمرها لا كانت كأس، فروحي فدى لجمالها ودمي حلال لها "؛ فلما سمع والده ذلك أيقن أن داءه بلا دواء وعاد به يائسا ". [2]

---

[1]- رامي فواز أحمد المحمودي : المرجع السابق ، ص 139.

[2]- عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 70 .

"ويشكوا أهل ليلى المجنون إلى الخليفة فيبيح لهم بدمه، وكان أبوه يسدي له النصح فلا يستجيب،فبحثوا عنه فلم يجدوا له أثرا،بينما كان المجنون معتزلا مكانا خفيا كالكنز بعيدا عن الأنظار،لاهيا عن مشاغل الدنيا ولم يضجرمن أهوال العشق،إذ أنه خلص به منحب الذات ومن قيود النفس ....وأخيرا اهتدى إلى مكانه أبوه فوجده راقدا على الأرض في كهف مسندا رأسه إلى حجر قد ثمل،ولما تعرف على والده،بكى له معتذرا على أن يستجيب له في أمرهو مقدر عليه،فحمله أبوه إلى المنزل وما إن ظل به بضعة أيام حتى مزق ثيابه وعاد إلى حياة الفيافي،إذ كان يحيا حياة هي حياة الموت في جبل نجد،يشكو ما به من الوجد وأناشيد طالما رددها المجنون.

أما ليلى فكانت أيضا مولهة به،كانت تنظم الشعر وترسله خافتة وسط الليل خوف الرقيب،تحترق بنار لا ضوء لها ولا دخان،هي نار الفراق،فكان شعر المجنون كالنار اتقادا وجوابها له كالماء لطفا ورقة،حيث كان من صوت هذين البلبلين صداح تطيب به خواطر من تبلبلتأفكارهم من الحب".[1]

والمقصود من ذلك أن شكوه أهل ليلى أمر قيس إلى الوالي أو الخليفة الذي أباح لهم بهدردمه إذا قدم حيهم ومحاولة والده أن يثنيه لكنه رفض الأمر،وحال ليلى لا تقل عن حالة قيس كانا يتراسلان شعرا،وكانا كبلبلين يخرجان أعذب الألحان ويجاوب أحدهما عن الآخر مما لفظ بهم العشق ووصل بهم الحال.

"وذات مرة خرجت ليلى في فصل الربيع إلى البستان مع بعض أترابها به حديقة قريبة،قد حليت بورودها الحمر والصفر،فوق زمرد العشب وجلست ليلى الحوراء لترى الحديقة في ظلال الورود وقطفت كأس نرجس ولم يكن غرضها سوى مناجاة البلبل الثمل والإفضاء إليه بولعات صدرها".[2]

كانت ليلى شبيهة بالسرور تسري عن نفسها بالخروج بين الحين والحين إلى التنزه في فصل الربيع داخل حديقة مجاورة،وكانت هذه الحديقة قد غصت بالورود الحمراء

[1]- عبده الراجحي: المرجع السابق، ص 71.

[2]- المرجع نفسه : ص 72.

والصفراء،حيث كان البلبل كالمجنون في هيامه بالوردة،وقد هام بها في البستان شابذو مكانة في قومه من بني أسد يدعى ابن سلام،فأعجب بجمالها وخطبها من أبيها،فاستمهله أبوها بعض الوقت حتى تشفى من مرض ألم بها،وبعد أن تتفتح زهرتها وتبرا مما علق بها من شوك،وظفر ابن سلام بهذا الوعد ثم عاد إلى دياره.[1]

" بينما ظلت ليلى بين قومها مستوحشة وكان المجنون ضالا كحظه في السهول والجبال،لا أنيس له غير الوحوش في الصحراء يهيجه الشوق في نواحي نجد،وفي يوم قد مر به ملك من تلك الناحية يدعى "نوفل"كان قوي الجناب لطيف المحضر،قص عليه قيس ما به من هيام،فرق له نوفل ووعده بأن يعمل على تحقيق أمله في الزواج من ليلى،وقاد هذا الأمير جيشا هجم به على حي ليلى،حيث لجأ إلى حرب لقهر قوم ليلى على قبول قيس ويتغلب جيش نوفل على قوم ليلى لكن الأب لم يستسلم لرغبة نوفل في خطبة ليلى لقيس بل يهدد بقتل ابنته وإلقاء رأسها للكلاب،فينسحب نوفل تاركا ليلى وأهلها وهنا يعاتبه قيس عتابا شديدا ويعود على إلى حياة التشرد في الصحراء.

وعلمت ليلى بما تم في أمر نوفل و أنه رد غير مجاب، فأخذ منها الضيق كل مأخذ وطارت شهرتها في الأفاق و تطلع إليها الخاطبون يطلبون وصالها بالمال والولايات، فخطبها ابن سلام وبذل الوفرمن المال مع ساحر الكلام، فزفت إليه وحملها إلى قومه وهناك هم بها يقطف من جناها، فلطمته لطمه شديدة فقالت:"أقسم بخالقي الذي صورني على هذا الجمال، لن تنال مني غرضا وإلا أرقت دمي بسيفك " فيئس منها وعلم أن قلبها مشغول بآخر، فقنع منها بالرؤية من بعيد".[2]

"وقد علم المجنون بزواج ليلى، صار كالطائر الكسير الجناح، يناجي ليلى عاتبا حانقا على زوجها، معاهدا إياها أنه حبها مقيم ، حيث تطيل إقامته وحيد في الصحراء و كان والد قيس قد انفصل عنه حزينا و يائسا، فخرج مع قومه للبحث عنه وعثر عليه وترجاه للعودة إلى داره، فلا يستجيب المجنون و يودع أباه وداعا مؤثرا ولما عاد الأب إلى بيته ألح عليه

[1]- محمد عبد السلام الكفافي : في الأدب المقارن " دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي " ، دار النهضة العربية ، ط1 ، 1971 ، ص332.

[2]- المرجع نفسه : ص 333.

المرض الذي كان قد أصابه من شدة حزنه على ولده فوفته المنية بعد أن ذوى عوده و أسلم الروح، و لما علم المجنون بوفاة والده ،فخف إلى قبره باكيا مستغفرا، وبعد أن قام بواجب الحداد على أبيه انصرف لمأواه في الفيافي،آنسا الوحوش يأكل مثلهم من نبات الصحراء حيث جعل من الوحوش جيشا كانت له الطائعة ، وقد حصن المجنون في إطعامها، وقامت على حراسته، وكانت رفيقة له في الحل والترحال".[1]

" وكان قيس يتأمل في السماء وما بها من الكواكب، يناجي الزهرة و المشتري، ثم يناجي الله قائلا:(يا من إلى بابك ملجئي و مالي من ملجأ سواك، ومن الزهرة و المشتري من عبيدك........و من علمك فوق الظنون و إحسانك يجاوز ما يعلمون .... يا ملك الوجود وقاضي الحدود، ومن نحن لك عبيد ولا سيد لامرئ سواك أفضي علي من فضل عنايتك حتى يضيء جانب عيش و أصير سعيدا بالوفاء)؛ وبينما يهمس لنفسه بذلك الدعاء أخذه النعاس، فرأى في نومه حظه كأن شجرة أصلها ثابت في الأرض و فرعها في الأوج وقد حلق طائر فوق غصن من غصونها فتساقطت من منقاره حبات في الدر استقرت فوق رأس قيس كالتاج و أسفر الصبح فأفاق مسرورا كأن ذلك الطائر يرفرف عليه بالسرور. وأتى قيسا رسول تنسم منه المجنون ريح الأمل و قص عليه أنه مر أمس بذلك الوطن، ورأى غادة كالقمر، وخصلة شعرها كالجيم، وفمها كالميم أشفقت عليها و سألتها عن سبب بكائها فقالت لي: أنا ليلى، ولكني الآن أشد جنونا من ألف مجنون، وصارت تحكي عن شوقها وسألتني عنك، فأفضيت إليها بما أعلم من أخبارك .... وعاهدتني أن أنهي إليك رسالة منها و ها هي ذي، ففض المجنون الرسالة وقرأها، ثم كتب المجنون الرد، ورمى به إلى الأرض فأخذه الرسول و أسرع إلى ليلى ".[2]

نظامي يحول الأمير إلى حرب بين الطرفين، فهذا نوفل قد جمع مائة من رجاله يحارب بهم أهل ليلى بعد أن رفضت شجاعته وهذه الحروب تدور بين الطرفين، حيث أن نوفل يهزم أهل ليلى، وتبدو ليلى بعد زواجها من ابن سلام عنيدة متكبرة ترفض أن يمنح زوجها من نفسها ما هو حق لكل زوج وتصرح له بأنها لن تحقق له ما يريد منها و لو أرق دمها

[1]- عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 75 - 76.

[2]- المرجع نفسه : ص 79- 80 .

بسيفه، مما يدل على تمسك ليلى بحبيبها ووفائها له بالروح والجسد؛ فقد نشأ بين قيس وحيوان الصحراء ألفة، فيحن على الغزلان ويناجي غرابا رآه فوق الغصن، فكان قيس وحيدا في الصحراء، مما زاد عليه وفاة والده. وفي صباح مشرق جاءه خطاب من ليلى وصفت فيه همومها و ناجته أعذب الكلمات، ووصفته بأرفع الصفات، وأجابها المجنون لخطاب مماثل بث فيه كل ما يختلج روحه.

"وكان لقيس خال اسمه "سليم العامري " أراد يوما أن يتفقد حال قيس وهو شريد في الخلوات فشق عليه ما رآه من حال قيس حين وجده بين الوحوش قد أسود وجهه من لفحات الشمس ممزق الثياب شبه عار منها، فأحضر له خاله الشواء وبعض الطعام فأباها و ألقى بها طعاما للوحوش، وأخبر خاله أنه قانع من طعام بما ترعاه الغزلان، وفي تلك الأثناء كانت ليلى قد برج بها الشوق، فخرجت من بيتها، فرأت على الطريق شيخا فسألته عن أخبار قيس، ذلك الذي جالس الوحش وأنس الوحوش فطلبت منه أن يرتب لها في الخفاء لقاء مع قيس، ونجح في ذلك، فيتلقى الحبيبان في واحة صغيرة يظلها النخيل، يأتي قيس محاطا بصفين من الوحوش يحرسانه، ودخل كالملك إلى مكان اللقاء، حيث يجلس قيس في انتظار قدوم عشيقته و تعلم ليلى بقدومه فتسرع إلى المكان وتجلس إلى عشيقها وأخذا يتناجيان :(أنت الربيع، والمجنون يبكي في إثرك بكاء السحب على رياحين الربيعويهيم البلبل من هدى الورد كما يهيم المجنون أسى حين ينأى بعيدا عنك، إن عيني أكثر ثملا من نرجس هذه العيون، كما أنني أتلوى وجدا كذوائب شعرك، وأقطف تفاح ذقنكوأجني رمان صدرك) ومر اللقاء كأنه لحظات، وعاد قيس إلى الفيافي يذرعها طولا وعرضا وتعود ليلى إلى خيمتها ."[1]

"وذاعت أخبار قيس في الأفاق فسمع به فتى من بغداد هو"سلام البغدادي" كان هو الآخر عاشقا أخذ يبحث عن قيس حتى وجده وعاشا معا أياما، تعلم فيها من قيس نبذ الدنيا وحفظ عن قيس كل غزله".[2]

[1]- محمد زكي العشماوي : المرجع السابق ، ص 141 .

[2]- محمد عبد السلام الكفافي : المرجع السابق ، ص 335 .

"وبعد فترة لم تطل، مات زوج ليلى قبل أن ينال منها ما يريد، وظلت ليلى ينال منها الوجد و يزيد عليها الكمد، ويشتد بكاؤها على قيس، ثم عادت إلى بيت أبيها، وجدت في إرسال الرسل على أثر قيس، تبلغه خبر وفاة زوجها فبكى قيس وضحك طربا لأن عقبة أزيحت من الطريق،واحتجبت ليلى في بيت أبيها سببا في مرضها الذي أخذ يشتد عليها وحين واتتها المنية نادت أمها وحملتها الرسالة إلى قيس بأنها أخلصت في حبها إليه وقدمت روحها قربانا للعشق".[1]

"ويعلم قيس بموت ليلى فيهرع إلى قبرها ويظل منحنيا عليه يبكيها ويبلل القبر بدموعه وبقي كذلك حتى تخلص من أسر الجسد فصعدت روحهمندفعة صوب معشوقته،حيث يلتقيان في عالم الصفاء والبقاء بعيدا عن هذا العالم،عالم الهواء والفناء؛ حيثرآهما زياد صاحب قيس في منامه،فرأى "روضة مزدانة تشرق بها جوانب العالم، وتكثر بها الأشجاروسط هذه الروضة ملكان قد استويا على سرير منصوب على حافة الماء،ومفروش بديباج الجنة جمالا،وارتدى الملكان من رأسيهما حتى الأقدام لباسا من نوروعلى كؤوس الخمر وأمامهما الربيع" وهذا يعني أن الفاتنان بجمالهما قد أخذا مقعدهما في مقام الفردوس".[2]

فالنظامي يمدح مجنون ليلى ويرى أنه لم يكن مجنونا على نحو ما يفهم العامة من هذه الكلمة،بل كان عالما بأسرار جعلته مشرق الباطن قريبا من الله، وأنه اختار حياة الخلوة وعرة المسلك في الصحراء بغية إضعاف قيوده بهذه الدنيا لكي يسرع في التخلص منها لأنها ليست إلا طريقا للخطوة بالعشق الخالد في الحياة الأخرى،حيث أنه لا يترك مجالا للشك في أن قيس نجا من قيود المادة،وتقرب من المعشوق الأزلي، واتخذ العشق طريقة إلى الحق،وكانت ليلى في البدء سببا لأن يتجه إلى حبها،ثم إنه فكر عن طريق الحب في أسرار الكون حتى توصل بتفكيره إلى أن المعشوق الخالد هو الله.[3]

---

[1]- محمد زكي العشماوي : المرجع السابق ، ص 342 .

[2]- داود سلوم : المرجع السابق ، ص 164 .

[3]- مأمون بن محي الدين الجنان: مجنون ليلى بين الواقع والأسطورة، دار الكتب العلمية – بيروت – ط1، 1990، ص 132.

المبحث الثالث:التأثير والتأثر بين الأدبين

"لقد راجحت قصة المجنون في الفارسية أكثر من غيرها من قصص الحب العذري عند العربي، حيث رسم نظامي الطريق أمام غيره من الشعراء في جوانب متعددة ونسق المادة العربية التي وجدها في إطار قصصي متسلسل وإضفاء الوحدة على المجموعة من الروايات المتناثرة،مع أن قصة المجنون اكتسبت في الأدب الفارسي حقائق جديدة ،حيث ظل التأثير العربي واضحا في غاية الوضوح ومن أهم مظاهره مايلي:

ـ تأثر الأدب الفارسي بالأدب العربي في الهيكل العام للقصة،فالحوادث الأساسية التي كونت القصة لدى شعراء الفرس تتضمن نشأة الحب بين قيس وليلى عذريا صادقا في الصغر، ثم حجبت ليلى عن قيس، حيث اشتهر هذا الحب،ورفض والدها تزويجها له،وهيام قيس في الصحراء على وجهه وتوسط بعض الأمراء له عند والد ليلى، ثم زواج ليلى الذي عجل بنهاية المأساة،إذ وقع كلامهما فريسة يأس قاتل، فمات قيس ومات المجنون على أثرها،وجعل نظامي قيس يحب ليلى منذ كانا صغيرين،وشغلا بهذا الحب عن واجب الدرس في المكتب الذي كانا يختلفان إليه.

فالطابع العربي كان واضحا لهيكل القصة من خلال حوادثها، فشعراء الفرس على اختلافهم يقصون هذه الأخبار على أنها وقائع جرت في البيئة العربية وأثرت في أشخاص أبطالها". [1]

ـ "أخذ شعراء الفرس كثيرا من خواص البيئة العربية وعاداتها ومناظرها،لكي يضعوا في قالبها تلك الأحداث التي تكون القصة، فسربت إلى الأدب الفارسي عادات عربية سواء كان مصدرها ما علموه من أحوال العرب وعاداتهم أم كان مصدرها ما قرؤوه في الأشعار المروية عن قيس". [2]

ـ"كان التأثير العربي أظهر وضوحا في طابع الحب العذري الذي دارت حوله أخبار قيس في الأدب العربي،وقد بقي الحديث عن قيس في الأدب الفارسي حديث عن الحب العفيف الذي يبعد عن الغايات الحسية وهذا أمر اشترك فيه كل من تحدثن ليلى والمجنون من

[1]- عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 89- 90 .

[2]- المرجع نفسه : ص 91 .

أولئك الشعراء،حيث تميز الحب العفيف بالطابع الصوفي ومغزى صوفي على حب المجنون لليلى وحب ليلى للمجنون.

وقد دفع هذا الإخلاص للعاطفة والتسامي بها إلى استعذاب العذاب في سبيلها وجعل هيامه في الصحراء وألفة بين الوحوش،والتذرع إلى الله،فهذه الأفكار لم تخل في الأدب العربي،بل إنها كانت في الفارسية أقوى ظهورا وأكثر وضوحا لأنها كانت تدور حول العبادة والتصوف".[1]

ـ "انتقال من الأدب العربي إلى الأدب الفارسي،الخصائص التي تدل على حدة العاطفة واحتدامها لدى المحبين العذريين كمخاطبة الطير والحيوان،وكذلك ما روى لقيس في تفديته الظباء لشبهها بليلى،غير أن شعراء العربية كانوا يخاطبون الأطلال والنجوم والليل ورواحلهم في الجاهلية ولكنهم لم يبلغوا في ذلك ما بلغ الشعراء العذريون وذلك أن شبوب العاطفة يدفع بأصحابها إلى إحساسهم بأن الحيوانات تشاركهم تلك العاطفة وهذا ماتأثر به شعراء الفرس في نظمهم لقصة المجنون، ففي قصة "نظامي" نرى أن المجنون يخاطب الكواكب والمشتري يبثهما وجده ويطلب منهما العون.

ـ اتخاذ قيس معنى صوفيا عميقا عند شعراء الفرس،حيث كانت شخصية المجنون قريبة إلى النفوس المتصوفة، وقد جعلوا من أخبار قيس مأساةنفس متعبدة نشدت الحقيقة عن طريق القلب والشعور،وكان قصد الشعراء من وراء ذلك أن القلب هو الذي يهدي إلى الحقيقة وأن العاطفة أصدق من الفكر ،فجعلوا من قيس متعبدا تقيا ذا قلب طاهر وعاطفة صادقة وقد توصل بها إلى طريق الحق".[2]

ـ ولذا بقي للموضوع في الأدب الفارسي خصائص تميزه عن أصله العربي فبعض هذه الحقائق تتعلق بالحوادث ومجراها في القصة،وبعضها يتعلق بوصف البيئة ومناظرها،ثم أن الطابع الصوفي الذي اكتسبت به القصة الفارسية سماتها المتميزة حيث تحول الحب العذري البدوي بين فتاة وفتى الحي إلى حب صوفي من النوع الذي تتوحد فيه الروحان والجسدان

---

[1]- محمد غنيمي هلال : الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر - قاهرة - ط3 ، 1998 ، ص 227 .

[2]- عبده الراجحي : المرجع السابق ، ص 93 .

وتتجرد النفس من غاياتها الدنيا وشهواتها المادية وتصفوا وتشرق وتصبح في النهاية نموذجا روحيا خالصا يرمز للحب الإلهي الذي هو أرقى وأسمى أنواع الحب". [1]

"مما يزيد في ذلك أن الترجمة بين الأدبين العربي والفارسي كانت أعمق أثر في أدب الفرس، بفضلها وجد النثر الفارسي وتطور واتبع في تطوره نفس المراحل التي مر بها النثر العربي. حيث ترجم التاريخ والتفسير للطبري، وكتاب كليلة ودمنة الذي يعد من بين الكتب التي قربت بين الأدبين في الوقت الذي أحدث فيهما حركة فنية وفكرية وكان ابن المقفع قد ترجمه عن الفارسية الفهلوية القديمة التي نقل إليها من اللغة الهندية.كما نجد رباعيات الخيام وما رأسته من قواسم مشتركة بين الأدبين فنا وأسلوبا، فكرا ونقدا يدفعها إلى إحياء مؤسسات مشتركة لترجمة آدابهما وتراثهما ومؤلفاتهما المختلفة في كل اتجاه". [2]

"أما التأثير في الأسلوب بين الأدبين فهي أشهر وأرحب ممثلة في الأجناس التي انتقلت من العربية إلى الفارسية مثل:القصيدة الغنائية والمقامة وغيرها،في الوقوف على أطلال البلاد بعد تخريبها في الحروب،والوقوف على الآثار في الأدب الفارسي في الشعر العربي." [3]

[1]- محمد عبد السلام الكفافي : المرجع السابق ، ص 345 .

[2]- بديع محمد جمعة: المرجع السابق، ص 189.

[3]- محمد غنيمي هلال : المرجع السابق ، ص 228 .

المبحث الرابع:المقارنة بين القصتين

أ) أوجه الاختلاف :

-"ظل في الأدب العربي القديم مجموعة من الأخبار التي تعددت طرق الرواية فيها فكان هذا التعدد سببا في ما بينها من اختلاف و تناقض، بل سببا في إنكارها جميعا من بعض النقاد، أما في الأدب الفارسي فقد قام كل شاعر من شعرائه بنظم قصة رتبة حوادثها على حسب ما اختار من الروايات العربية فجاءت الحوادث في قصته مؤتلفة متسقة لا تضارب فيها ولا اختلاف".[1]

-"كان موضوع القصة في الأدب الفارسي مجالا أطلق فيه الشعراء العنان بخيالهم وتفكيرهم أما في الأدب العربي كان مثار بين الرواة والمؤرخين.

- تميزت القصة في الأدب الفارسي بالعشق الصوفي فلم يكن قيس يحب ليلى ليتزوجها، بل كان يحبها للحب نفسه ولأنها أهل لكل حب، أما في الأدب العربي على أساس الحب العذري الغزلي.

- عالج نظامي هذه القصة في محيط الأدب الخاص أما في أصولها العربية كانت تاريخية تبحث عن شخصية قيس وهل كان لها وجود تاريخي حقيقي، ومتى عاش؟

- فالشاعر نظامي يجعل قيسا يتعرف على ليلى في المكتب كان يختلفان إليه للدرس والتعلم أما في الرواية العربية جعلت التعارف بينها يرعيان الإبل و هما صبيان .

- تعدد الشخصيات في القصة الفارسية التي لا وجود لها في الأصل العربي مثل "سليم العامري " خال قيس .

- المناظر والصور والأمكنة لنظامي لاتشبه ما جاء في القصة العربية.

- اكتساب القصة في الأدب الفارسي صبغة جديدة في الوصف في بعض المواقف تبعد بها من البيئة العربية البدوية.

---

[1]- عبده الراجحي: المرجع السابق ، ص 95.

ـ انفراد القصة في الأدب الفارسي بالحب الصوفي وتلك الروح العذبة المتفانية أما في الأدب العربي بالحب العذري و ما يتصل به من صراع بين العاطفة والتقاليد".[1]

ـ "مناجاة قيس للغراب حتى يكون رسولا له إلى ليلى في الفارسية في حين أن الغراب في الأصل العربي نذير شؤم .

ـ في القصة الفارسية بقيت ليلى عذراء طيلة حياتها ، و هذا لم يذكر في الأصل العربي.

ـ جعل الشاعر نظامي قيس سببا في موت أبيه حزنا و كبدا، رغم أن والد قيس لم يمت في المصدر العربي .

ـ تحدث الشاعرعن الفضيلة والأخلاق في منظومته،على عكس ما هو في الأصل العربي."[2]

ـ "اختلاف في كلمة " المجنون ": ففي الأصل العربي تعني الخروج عن المعقول وتشير إلى التصرف الشاذ غير المألوف، والخروج عن النظام المتعارف عليه ،أما في الأصل الفارسي أصبحت ترمز لمعنى صوفي روحي رمزي: أي الخروج من سلطان العقل وقواعده و الانتقال إلى سلطان القلب و الخضوع لمشيئته .

ـ تميزت القصة في الأدب الفارسي بسمات صوفية تجسدت في الحلم الذي رآه زياد لكل من" ليلى والمجنون" وهما ينعمان معا في روضة من رياض الجنة، أما في الأصول العربية لا وجود لها .

ـ تجنب قيس أكل اللحم والتزام الزهد واعتماد على العشب في طعامه عند الفارسية، على عكس ما عند العرب لا يأكل ولا يشرب بل يتغنى بأشعاره فقط.

ـ تركيز القصة الفارسية على النزعة الصوفية التي غلبت العمل الفني وطبعته بطابع روحي يختلف اختلافا عن الرواية العربية التي ركزت على إبراز عاطفة الحب العذري بين العاشقين و ما نشأ عنهما من صراع.

ب)- أوجه الشبه :

[1]- عبده الراجحي: المرجع السابق، ص 96 - 97.

[2]- محمد زكي العشماوي: المرجع السابق ، ص 345 .

- شخصية قيس و ليلى كلاهما كانا ينظمان الشعر.

- الصراع بين العادات والتقاليد وعاطفة الحب .

- عشق ليلى والمجنون إحداهما للأخر .

- قيام أهل ليلى على قيس ثورة في إهدار دمه .

- منع ليلى من رؤية قيس، مما جعله يصاب بالجنون.

- ذهاب والد قيس لخطبة ليلى، مما جعل والدها يرفض هذا الزواج .

- هيام قيس على وجهه في الصحراء و تخبطه في الخلوات .

- معاناة الحبيبين من الحزن و الأسى و جعل الفراق فراق الآلام و الغربة الروحية.

- استعانة قيس الرسل ليعلم أخبار حبيبته ليلى حين يصعب لقاؤها .

- تراسل العاشقان في الخفاء، وعن بعد فيما بينها من أشعار، ووصف حالتهما من العشق.

- تعرف نوفل أمير الصدقات إلى المجنون ، و مساعدته في التوسط بينها .

- زواج ليلى واستسلامها لما أراده أهلها .

- معرفة المجنون بزواج ليلى حتى زاد من جنونه .

- هجرة قيس للمدن و الناس واستئناسه بمظاهر الطبيعة و مؤانسته للوحوش .

- اصطحاب والد قيس ابنه إلى الحج و زيارة الكعبة، لعله ينسيه ما هو فيه من عذاب.

- تعلق قيس بأستار الكعبة طالبا من الله أن يخلد حبه لليلى.

- تذرع قيس إلى الله و مناجاته في إخلاد حبه من خلال دعائه بمحبوبته ليلى .

- اطلاع والد المجنون على ما عزم عليه أهل ليلى .

- جعل قيس الوحوش رفيقة دربه في حياته تلك ، مما نشأ بينه و بين حيوان الصحراء ألفة.

- تحرير المجنون للظبية والغراب من شبكة الصياد، لأنه كان يرى فيه صورة حبيبته ليلى.

- وفاة قيس وحيدا في الخلوات والصحاري، ملقاة على الأرض .

❖ خلاصة:

"كان الشاعر النظامي مبدعا في نظمه قصة "ليلى والمجنون" فعلى قدر تمسكه بالأصول العربية للقصة،قد أفضى عليها طابعها الخاص وتقديمه نحو التصوف والأخلاق، وخاصة نقلها من المحيط التاريخي إلى المحيط الأدبي الفني .

فقد صاغ القصة في منظومة شعرية طويلة تتألف من أربعة آلاف وخمسمائة بيت من الشعر، و تناول أحداث قصة متكاملة وتطور هذه الأحداث إلى نهايتها متعاقبة كل حدث حسب جزئياته؛ حيث جعل موقف قيس وصاحبته ليلى مجسدا لمعنى واحد و ناشرا للمغزى العام الذي تهدف إليه المنظومة، كما يشير إلى عذابهما وتحملها العناء والشقاء، وصبرهما على المكاره وكل ذلك يشير إلى الصوفية، وأن قيس و إيمانه بالقدر أثر ديني إسلاميحيث رأى أن المعشوق الخالد هو الله حيث يقول النظامي في منظومته:" واسلم نفسك لقدس العشق حتى تتحرر كل التحرر من ذاتك وانطلق كالسهم حتى لا تسقط بعيدا عن الهدف ".[1]

[1]- رامي فواز أحمد المحمودي : المرجع السابق ، ص 140 .

نستنتج مما سبق أن العلاقات الأدبية العربية والفارسية تشكل محورا رئيسيا من محاور الدراسات الأدبية جليا في أواسط القرن العشرين وذلك بظهور جيل من الدارسين والمقارنين العرب الذين أولوا العلاقات بين الأدبين العربي والفارسي قسطا كبيرا من جهودهم العلمية ونشاطاتهم الأدبية .

فما من أمتين تباينتا وتخالفتا في الدم واللغة والبيئة الطبيعية والاجتماعية، ثم تدانى أدبهما واقترب بعضه من بعض حتى كاد يكون من حيث الصياغة والمنحى واحدا إلى الحد الذي يتعذر على أحد أن يميز بين أدب وآخر لولا اللغة الدالة عليه، كالأمتين العربية والفارسية وعلى الرغم من أن الاختلاف في اللغة وطبيعة النشأة بين الأمتين لا بد وأن يترك أكبر أثر من الاختلاف في طبيعة أدب الأمتين وصياغته ومنحاه، فقد كان الأدب الفارسي أقرب إلى الأدب العربي من الآداب الأخرى .

فاللغة العربية بتراثها على اختلاف مناحيه وبكل أصوله وفروعه كانت حجر الرحى في تكوين ثقافة الفارسي، حيث قفزت به من أفق ضيق إلى واسع متفتح على الثقافات كلها دون تحديد أو توجيه لثقافة معينة، باعتبارها لغة القرآن الكريم؛ وحفظ بها التفاهم بين الأمم الإسلامية في الشام والعراق وغيرها ولولاها لكانت كل أمة من الأمم تتكلم لغة لا تفهمها صاحبتها.كما أن الشعر الفارسي لم يعد يؤلف بالصورة القديمة، إنما أصبح له مفردات خاصة حديثة المعاني .

حيث تبادل الأدبان العربي والفارسي المواضيع والأساليب وأعطت الفارسية الأدب العربي عمق المعنى وجمال التصور واتساع أفق الرؤيا، وأعطت العربية الفارسية العروض والبديع والدين بمنازله وأفكاره.

كما أن مجنون ليلى قصة عربية مشهورة تحاكي أروع معاني الحب والعشق التي جمعت بين شخصين، تميزت هذه القصة بعمق مشاعر الحب والإصرار والإيمان بالحب دون كلل أو ملل ومحاربة كل الظروف للوصول إلى الهدف؛ وعلى ضوء هذه الدراسة توصلت إلى النتائج التالية :

- انتشار حضارة الفرس في المجتمع الإسلامي في مختلف الميادين الاجتماعية والسياسية والثقافية وأصبحت اللغة الفارسية شائعة في المجتمع الإسلامي .
- دخول الأدبين العربي والفارسي في علاقات مثقفة متينة وانحسار كل منهما للآخر.
- انتشار اللغة العربية في بلاد الفرس، راجع إلى مكانتها في القرآن الكريم .
- إن العرب أعطوا أكثر مما أخذوا ونفعوا أكثر مما انتفعوا وقدموا للفرس المتعطشين للإسلام وما جاء به ولم يبخلوا عليهم أو يمتنوا بما أولوهم به.
- انتقال موضوع ليلى والمجنون من الأدب العربي إلى الفارسي حيث عرف صياغات مختلفة.
- محافظة الشعراء الفرس على مظاهر البيئة العربية البدوية التي دارت على ساحتها أحداث القصة.
- اكتساب القصة في الأدب الفارسي بالطابع الصوفي الذي بقي طاغيا ومميزا عن الأصل العربي بطابع الحب العذري .
- اتخاذ شخصية قيس معنى صوفي عميق عند الشعراء الفرس، حيث كانت قريبة إلى نفوس المتصوفة متعبدة نشدت الحقيقة عن طريق القلب والشعور.
- تحول الحب العذري إلى حب صوفي تتجرد النفس من غاياتها الدنيا، لتصل إلى نموذج روحي خالص يرمز للحب الإلهي.

ويمكن القول أن مجنون ليلى من أشد القصص أهمية لدى الدارسين، ربما لم تحظى بهذه الأهمية أية قصة عربية سواها، حيث أعيد الاعتبار لهذه القصة بعد أن طوروها خلال قرون عدة وذلك في القرن العشرين، فحولت إلى مسرحيات وأفلام سينمائية وإلى مغناة، فقد اشتغلوا عليها شعرا ورواية. مثل مجنون ليلى في مسرحية أحمد شوقي، فهل تأثر شوقي بالأدب الفارسي من ناحية الموضوع ؟.

والله ولي التوفيق.

أولا:القرآن الكريم

ثانيا:المصادر

1- بدوي أمين عبد المجيد: القصة في الأدب الفارسي، دار النهضة العربية – بيروت - (د.ط) 1971.

2- الجنان مأمون بن محي الدين: مجنون ليلى بين الواقع والأسطورة، دار الكتب العلمية، بيروت - ط1، 1990.

3- الراجحي عبده: محاضرات في الأدب المقارن ،دار النهضة العربية ، ط3،2007.

4 - زيدان جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية ، الجزء 2، تقديم إبراهيم صحراوي ، دار موفم للنشر ،(د.ط) ، 1993 .

5- الشابي علي: الأدب الفارسي في العصر الغز ويني ،دار الثقافة للنشر ،(د.ط)، 1965.

6- العشماوي محمد زكي: المسرح أصوله واتجاهاته المعاصرة "دراسة تحليلية مقارنة"، دار النهضة العربية - بيروت - ط1 ، (د.ت).

7- الكفافي محمد عبد السلام: في الأدب المقارن "دراسات في نظرية الأدب والشعر القصصي" ، دار النهضة العربية ،ط1، 1971.

8- المصري حسين مجيب: الصلات بين العرب والفرس والترك "دراسة تاريخية أدبية" الدار الثقافية للنشر - قاهرة- ط1 ، 2001.

ثالثا: المراجــع

- اللغــة العربيــة :

9- أبو زيد سامي يوسف: الأدب المقارن "المنهج والتطبيق"، دار المسيرة للنشر والتوزيع، (د.ط.ت).

10- جمعة بديع محمد: من روائع الأدب الفارسي، دار النهضة العربية - بيروت - ط 2، 1983.

11- الخفاجي محمد عبد المنعم: الحياة الأدبية في العصر العباسي ، دار الوفاء للطباعة والنشر - الإسكندرية - ط1، 2004.

12- سلوم داود: الأدب المقارن في الدراسات المقارنة التطبيقية ،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ، ط1، (د.ت) .

13- المحمودي رامي فواز أحمد: النقد الحديث والأدب المقارن ، دار الحامد للنشر والتوزيع، ط1، 2008.

14- ندا طه: الأدب المقارن ، دار النهضة العربية ، (د.ط.ت) .

15- نوار سامي: فن صناعة المخطوط ، دار الوفاء للطباعة والنشر، ط1، 2002.

16- هلال محمد غنيمي: الأدب المقارن ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط 3 ، 1998.

- المتـرجمـة:

17- آذرتوشآذرتاش: سبل نفوذ الفارسية في ثقافة عرب الجاهلية ولغتهم ،ترجمة وعلق عليه الدكتور محمد التو نجي ،دار المجتمع الثقافي ،(د.ط) ،2004.

18- هورن لباول: الأدب الفارسي القديم، ترجمة دكتور حسين مجيب المصري، الدار الثقافية للنشر - القاهرة - ط1، 1999.

رابعا: المجلات والدوريات

19- مجلة آداب البصرة:أثر المقامات العربية في الأدب الفارسي، جامعة البصرة، ع:49،2009 .

20- مجلة المعرفة : الأدب العربي في الآداب الأجنبية ، ع: (191- 192)، 1978.

خامسا: الرسائل الجامعية

21- يوسف بوجلة: مذكرة ماجستير" تأثر الأدباء الفرس بالأدب العربي في القرون الإسلامية الأولى، الشاعر منوجهري نموذجا "جامعة الجزائر،كلية الآداب واللغات، (2006-2007).

سادسا: الانترنيت

22ـمنتدى ستارتايمز:"أرشيفالتاريخ العالمي والإسلامي"،العدد: 2،(21-01-2017/15:39).

23ـالموقع: Effectivemenasure.net . www:"منتدى التاريخ/ مسلك التاريخ والحضارة".

الـفـهـــرس:

الـفـهــرس: